الجزء (9)

قصص
القرآن والسنة
بقرة بني اسرائيل

الشيخ الدكتور
أبو عبدالرحمن سمير بن أحمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بقرة بني إسرائيل

من قصص القرآن والسنة

الجزء التاسع

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

أبو عبد الرحمن

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ

مؤسسة القلم
لتحقيق التراث والبحث العلمي

حقوق الطبع مبذولة لعموم المسلمين

١٤٤٦هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفُسِنا، وسيِّئات أعمالِنا، مَن يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهَدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أمَّا بعدُ:

فإنَّ اللهَ تعالى قصَّ علينا في القرآنِ قَصصًا؛ لتكونَ لنا عِبرةً وعِلمًا وأدبًا، ومن هذه القَصصِ قِصةُ بقرةِ بَني إسرائيلَ، وتعنُّتِهم مع نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام.

وهي قصةٌ عجيبةٌ، مليئةٌ بالدروسِ والعبر، وذكرُ القَصصِ في القرآنِ والسُّنةِ من عظيمِ نعمِ اللهِ على الخلقِ، ووسائلِ تعليمِه إياهم، قال اللهُ تعالى: {فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦} [الأعراف:١٧٦]، وقال سبحانه: {لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [يوسف:١١١].

وهذا من عظيمِ عنايةِ اللهِ بخلقِه ومن فضلِه عليهم، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه مَن يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيم.

ونتناولُ بمشيئةِ الله تعالى في هذا البحثِ المختصَرِ قصةَ البقرةِ، والدروسَ المستفادةَ منها؛ كي نتعلمَ ما فيها منَ الأحكامِ.

نسألُ اللهَ أن يُعلِّمَنا ما ينفعُنا، وأن ينفعَنا بما علَّمَنا، وأن يزيدَنا علمًا، وأن يجعلَ ما تعلَّمناه حجةً لنا لا علينا، وصلَّى الله وسلمَ وباركَ على عبدِه وخليلِه محمدٍ وعلى أله وصحبِه أجمعين.

المبحث الأول
الآيات الواردة في القصة

قال اللهُ تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾}

[البقرة:٦٧-٧٤].

المبحث الثاني
معاني المفردات الواردة في الآيات

{مُوسَىٰ}: هو نبيُّ بَني إسرائيلَ المعروفُ بموسى بنِ عمرانَ، وهو مِن أُولي العزمِ منَ الرسلِ.

{يَأۡمُرُكُمۡ}: يُلزِمُكم على سبيلِ الوجوبِ والحَتمِ.

{أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ}؛ أي: تُريقوا دَمَها، وتُزهِقوا رُوحَها بالذبحِ بالسكينِ ونحوِها، والبقرةُ من بَهيمةِ الأنعامِ التي أحلَّ اللهُ أكلَها.

{أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا}؛ أي: أتستهزِئُ بنا، وتسخَرُ منَّا؟

{أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ}؛ أي: أَستجيرُ باللهِ وأعتصِمُ بجَنابِه أن أفعلَ فعلَ الجاهلين السفهاءِ الذين لا عِلمَ عندهم؛ فإن اللهَ تعالى علَّمَني وأدَّبَني.

{بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ}: الفارِضُ هي المُسِنَّةُ الهَرِمةُ كبيرةُ السنِّ جِدًّا.

{وَلَا بِكۡرٌ}: هي الصغيرةُ التي لم يَنْزُ عليها الفحلُ.

{عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ}؛ أي: هي وسَطٌ بينَ ذلك، لا هي كبيرةُ السنِّ ولا صغيرةٌ.

{صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا}؛ أي: لونُها أصفرُ جميلٌ شديدُ الصفرةِ، تسُرُّ وتُسعِدُ مَن ينظرُ إليها؛ من جمالِ لونِها وهيئتِها.

{إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا}؛ أي: اختلطَ علينا، فلا نستطيعُ تمييزَ هذه البقرةِ من غيرِها.

{بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ}؛ أي: غيرُ مذلَّلةٍ ومسخَّرةٍ للعملِ، فلم يَسبِقْ لها العملُ في حراثةِ الأرضِ، ولم تُربَطْ في ساقيةٍ لاستخراجِ الماء.

{تثيرُ الأرضَ}؛ أي: تُقَلِّبُها وتَحْفِرُها بالمِحراثِ؛ أي: أنها لا تعملُ في حراثةِ الأرضِ وتقليبِ ترابِها، وتخطيطِها للزِّراعة.

{وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ}؛ أي: غيرُ مُعدَّةٍ للسَّقيِ منَ الساقية.

{لَّا شِيَةَ فِيهَا}؛ أي: خاليةً منَ العيوبِ، ومن أيِّ لونٍ آخرَ غيرِ الأصفرِ.

{فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ}؛ أي: اضطُرُّوا لذبحِها بعدَ المراوغةِ والجدالِ والعنادِ؛ خشيةَ نزولِ العذابِ عليهم.

{فَٱدَّٰرَأۡتُمۡ فِيهَاۖ}؛ أي: اختلفتم فيمَن قتلَها وتَنازعتم وتخاصَمتم، ولم تعرِفوا القاتلَ.

{تَكۡتُمُونَ}؛ تُخفون.

{ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا}؛ أي: اضربوا القتيلَ الميتَ بجزءٍ من هذه البقرةِ المذبوحةِ، فيُحيي اللهُ به القتيلَ؛ ليُخبركم مَنِ الذي قتله، ثم يموتُ مرةً أخرى بعد معرفةِ القاتلِ الجاني.

{تَعۡقِلُونَ}؛ أي: تفهمون وتعملون بشرعِ الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث
مناسبة قصة البقرة وذبحها

يُروَى في أخبارِ بني إسرائيلَ أنه كان فيهم رجلٌ عقيمٌ، ليس له أولادٌ، فقتلَه قريبُه الذي يستحقُّ ميراثَه بعد موتِه، ثم احتمله فألقاه في قبيلةٍ أخرى، فوقع بينهم الشرُّ والاختلافُ حتى حَمَلوا السلاحَ؛ ليقتلَ بعضُهم بعضًا، فقال لهم أولو النُّهى: أَتَقْتتِلون وفيكم رسولُ اللهِ موسى؟

فأتَوا نبيَّ اللهِ موسى عليه السلام؛ لِيحتكِموا إليه، فأوحى اللهُ إليه أن يأمرَهم بذبحِ بقرةٍ، ثم يأخذوا جزءًا منها أو عضوًا من أعضائِها، يضربون به القتيلَ فيحيا، ثم يُخبرُهم بالذي قتله.

فكان من أمرِهم وأمرِ البقرةِ والقتيلِ والقاتلِ ما ذَكَره اللهُ في هذه القصةِ[١].

---

[١] تفسير الطبري (١١٧٢)، وابن أبي حاتم في التفسير برقم (٦٩٥)، عن عَبيدةَ السَّلْماني وأبي العالية والسُّدِّي بأسانيدَ صحيحةٍ.

وسواءٌ أكان هذا هو السببَ أو غيرَه، فالمُهِمُّ أنه كان هنالك جريمةُ قتلٍ، ولا يُعلَم القاتلُ، فسألوا نبيَّ اللهِ موسى فدعا اللهَ أن يبيِّنَ لهم القاتلَ، فبين اللهُ لهم القاتلَ، وذلك في قصةِ البقرة:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَبِيدَةَ، قَالَ: كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ عَقِيمٌ، وَلَهُ مَالٌ كَثِيرٌ، فَقَتَلَهُ ابْنُ أَخٍ لَهُ، فَجَرَّهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى بَابِ نَاسٍ آخَرِينَ، ثُمَّ أَصْبَحُوا، فَادَّعَاهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَسَلَّحَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، فَأَرَادُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، فَقَالَ ذَوُو النُّهَى مِنْهُمْ: أَتَقْتَتِلُونَ وَفِيكُمْ نَبِيُّ اللهِ؟! فَأَمْسَكُوا حَتَّى أَتَوْا مُوسَى، فَقَصُّوا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً فَيَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا، فَقَالُوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [البقرة: ٦٧] [١].

---

[١] تفسير الطبري (٢/ ١٢٣).

المبحث الرابع
المعنى الإجمالي للقصة

كان في بني إسرائيلَ في زمانِ نبيِّ اللهِ موسى ﷺ رجلٌ عقيمٌ، ليس له أولادٌ من صُلبِه، وعنده مالٌ كثيرٌ، وله قريبٌ يتمنَّى موتَه؛ ليرثَ مالَه مِن بعدِه؛ ولكنَّ هذا القريبَ تعجَّلَ أَخْذَ الميراثِ، فقتلَ الرجلَ العقيمَ صاحبَ المالِ؛ ليرثَ مالَه، وبعد أن قتلَه حمَلَه وألقى به عند قبيلةٍ أخرى حتى لا يُعرَفَ أنه القاتلُ، وحتى تُتَّهَمَ القبيلةُ الأخرى، فاختلفتِ القبيلتانِ فيمن قتَلَه، وحصل بينهما نزاعٌ كبيرٌ، وكادوا يقتتِلون، فقال لهم بعضُ العقلاءِ: إن نبيَّ اللهِ موسى موجودٌ بيننا، فاذهبوا إليه واسألوه، واحتكِموا إليه، وارضُوا بحكمِه.

فلما ذهبوا لنبيِّ اللهِ موسى أوحى اللهُ إليه أن يأمرهم بذبح بقرةٍ، ويأخذوا عُضوًا مِن أعضائِها أو جزءًا منها، ويضربوا به القتيلَ، فسيُحييه اللهُ تعالى، ويُخبِرُهم بالقاتلِ، ثم إنَّه سيموتُ مرةً أخرى.

قال لهم موسى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ}؟ أي: أتسخرُ منا وتستهزئ بنا؟!

فقال لهم موسى: {أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ}، فلا يسخرُ من الناسِ ويستهزئُ بهم إلا الجاهلون، وأما أنا فإني رسولُ اللهِ ونبيُّه، وقد علَّمَني ربِّي فأحسنَ تعليمي، وربَّاني فأحسنَ تربيتي، ومثلي لا يفعلُ فعلَ الجاهلين السفهاءِ.

وكان الواجبُ عليهم أن يسمعوا ويطيعوا أمرَ اللهِ الذي أخبرهم به موسى ﷺ، ولكنهم كانوا أصحابَ جَدَلٍ وعِنادٍ وتكلُّفٍ، فقالوا: {ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ}؛ أي: يبيِّنْ لنا سِنَّها. فأجابهم موسى ﷺ بقوله: {إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ}؛ أي: هي بقرةٌ وسطٌ في العمرِ، لا هي كبيرةٌ مُسِنَّةٌ، ولا هي صغيرةُ السنِّ، فافعلوا ما أمَركُم اللهُ به، ولا تجادلوا، ولا تُشدِّدوا على أنفسِكم، فيشدِّدَ اللهُ عليكم.

فعادوا لِتَعَنُّتِهم وجِدالِهم السَّقيمِ مرةً أخرى، وقالوا: {ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَا}؟ فأجابهم موسى قائلًا: {إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَقَرَةٌ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ}؛ أي: إنها بقرةٌ صفراءُ شديدةُ الصُّفرةِ، تَسُرُّ وتُسعِدُ مَن ينظرُ إليها؛ لشدةِ جمالِها.

فعادوا لتشدُّدِهم وتعنُّتِهم مرةً أخرى، وقالوا: {ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ}؛ على التحديدِ؛ لأننا لم نهتَدِ إلى ما نريدُ.

فأجابهم موسى قائلًا: {إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ}؛ أي: إنها بقرةٌ غيرُ عاملةٍ، لا تُستعمَلُ في حراثةِ الأرضِ بالمحراثِ، ولا تدورُ حولَ الساقيةِ لاستخراجِ الماءِ لسقيِ الزرعِ، كما أنها خاليةٌ من جميعِ العيوبِ، فليس فيها ما يَعيبُ جمالَها.

وحينئذٍ كانوا قد استعملوا جميعَ الحيلِ للعدولِ من ذبحِها، فسُدَّت عليهم جميعُ الأبوابِ والحِيَلِ والحُججِ، ولم يكن أمامَهم إلا تنفيذُ ما أمرَ اللهُ به من ذبحِ البقرةِ وضربِ القتيلِ بجزءٍ منها؛ لِيحيا مرَّةً أخرى ويخبرَهم بالقاتلِ، فذبحوا البقرةَ، وأخذوا جزءًا منها، وضربوا به القتيلَ، فأحياه اللهُ، وأخبرَهم عن الذي قتلَه، ثم أماتَه اللهُ مرَّةً أخرى.

المبحث الخامس
الدروس المستفادة من القصة

هذه القصةُ تحتوي على فوائدَ كثيرةٍ نذكرُ منها ما يأتي:

١ - فضلُ نبيِّ اللهِ موسى وعظيمُ صبرِه على بني إسرائيلَ.

وبنو إسرائيلَ من أشدِّ الأممِ تعسُّفًا وتعنتًا مع أنبيائها.

ونبيُّ اللهِ موسى ﷺ هو أحدُ أولي العزمِ الخمسةِ من رُسلِ اللهِ تعالى، وفضائلُه كثيرةٌ في الكتابِ والسُّنةِ، نذكُرُ منها:

أ- قال اللهُ تعالى في الثناءِ عليه: {وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ٥٣} [مريم:٥١-٥٣].

وقال اللهُ فيه: {يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤} [الأعراف:١٤٤].

فموسى صفيُّ اللهِ في زمنِه، وقال تعالى: {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤} [النساء:١٦٤].

وقال: {وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩} [الأحزاب:٦٩].

وقال عنه النبيُّ ﷺ: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الحَجَرُ، فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَلَبِسَهُ، وَطَفِقَ بِالحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَ اللهِ إِنَّ بِالحَجَرِ لَنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ، ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}»[1].

فهو الحييُّ السِّتيرُ عليه السلام.

---

[1] أخرجه البخاري (٣٤٠٤).

ولمَّا آذى بعضُ الناسِ رسول الله ﷺ قال: «**رَحِمَ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[١]، فهو الصبورُ على الأذى عليه السلام.

وقال النبيُّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ**»[٢].

فأُمَّتُه- ببركةِ دعوتِه وصبرِه وهديِه- من أكثرِ الأممِ يومَ القيامةِ.

وقال النبيُّ ﷺ: «**لَا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ جَانِبَ العَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللهُ**»[٣].

فموسى عليه السلام من أولي العزائمِ والهممِ العاليةِ، والصبرِ الجميلِ، والخيرِ الكثيرِ.

---

[١] أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

[٢] أخرجه البخاري (٣٤١٠).

[٣] أخرجه البخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- **كلُّ نبيٍّ كان يُبعَثُ إلى قومِه خاصةً، إلا النبيَّ محمدًا ﷺ، فدعوتُه عامةٌ**، فهو المبعوثُ رحمةً للعالمين، إلى عامَّةِ الجنِّ وكافةِ الإنس؛ لقول النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَيِّبَةً طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ صَلَّى حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ بَيْنَ يَدَيْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»[١].

وكان نبيُّ اللهِ موسى ﷺ مبعوثًا إلى قومِه الذين بُعِث فيهم، وعاش فيهم، وهم أهلُ مصرَ وبنو إسرائيل.

٣- **جوازُ التحديثِ عن بني إسرائيلَ فيما صحَّ عن اللهِ ورسولِه.**

وأخبارُ بني إسرائيلَ على ثلاثةِ أنواعٍ:

الأول: ما ورد شرعُنا بتكذيبِه: فهذا نُكذِّبُه ولا نُصَدِّقُه، ولا نُحدِّثُ به إلا على سبيلِ تكذيبِه والتحذيرِ منه، كقولِهم: «قَتلْنا المسيحَ عيسى بنَ مريمَ»، وقولِهم: «عزيرٌ ابنُ اللهِ»، وقولِهم عن

---

[١] أخرجه مسلم (٥٢١).

اللهِ أنه المسيحُ بنُ مريمَ، أو أنه ثالثُ ثلاثةٍ، أو أن المسيحَ ابنُ اللهِ، ونحوِ ذلك من الكفرِ والكَذِب والبهتانِ على اللهِ سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا!

الثاني: ما ورد شرعُنا بتصديقِه وحكايتِه في القرآنِ أو السنةِ الصحيحةِ، فهذا نصدِّقُ به ونأخذُ منه العبرةَ والموعظةَ، كما أمرَ اللهُ تعالى، ومن هذه القصصِ ما ورد عن بني إسرائيلَ في القرآنِ والسنةِ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[١].

الثالث: أخبارٌ تحتملُ الصدقَ والكذبَ، فهذه لا تُصدَّق ولا تكذَّب، لقولِ النبي ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: {ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ...} الآيَةَ**

[العنكبوت:٤٦]»[٢].

---

[١] أخرجه البخاري (٣٤٦١).

[٢] أخرجه البخاري (٧٣٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقصةُ البقرةِ التي نحن بصددِها مما ثبتتْ عندنا بيقينٍ عنِ اللهِ ورسولِه ﷺ، فنُصدِّقُها ونتعلمُ ما فيها من الأحكام.

٤- شناعةُ جريمةِ القتلِ:

أعظمُ جنايةٍ تُرتكَبُ في حقِّ الأدميِّ هي قتلُه بغيرِ حقٍّ؛ لقولِ اللهِ تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة:٣٢].

ولقولِه سبحانه: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾} [النساء:٩٣].

ولقول النبيِّ ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»[١].

ولقولِه ﷺ: «**لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**»[١].

---

[١] صحيح مسلم (١٢١٨).

وجريمةُ القتلِ العمدِ يتعلقُ بها ثلاثةُ حقوقٍ: حقٌّ للهِ تعالي، وحقٌّ للمقتولِ، وحقٌّ لأولياءِ المقتولِ.

أما حقُّ اللهِ تعالى فإن تاب القاتلُ تابَ اللهُ عليه؛ لقولِه تعالى: {قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾} [الزمر:٥٣].

وأما حقُّ المقتولِ فمآلُه إلى اللهِ ﷻ، فإن تاب القاتلُ، وحسُنَت توبتُه، فيُرجَى أنَّ اللهَ تعالى يُرضِي المقتولَ بما شاء مِن فضلِه، حتى يعفُوَ عن القاتلِ.

وأما أولياءُ المقتولِ فلهم الحقُّ في واحدٍ من ثلاثةٍ: إما القِصاصُ بقتلِ القاتلِ على يدِ وليِّ الأمرِ، وإما قَبولُ الدِّيَةِ، وإما العفوُ تمامًا عن القصاص والدِّيةُ، والدِّيةُ هنا تكونُ مُغلَّظةً، فتكونُ مِئَةً منَ الإبلِ، منها أربعون خَلِفَةً؛ أي: أربعون ناقةً عُشَراء، في بطونِها أولادُها.

---

[١] صحيح البخاري (٦٨٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمَّا القتلُ شِبهُ العمدِ ففيه أيضًا الدِّيَةُ المغلَّظةُ أو العفوُ عن القاتلِ، وليس فيه القِصاصُ، والقتلُ شِبهُ العمدِ هو ضربٌ أفضى لِموتٍ، ولم يَقصِدِ القاتلُ أن يَقتُلَ.

وأما القتلُ الخطأُ غيرُ المقصودِ كحوادثِ السياراتِ، ونحوِ ذلك ففيه الدِّيةُ المخفَّفةُ، وإلا فالعفوُ مجَّانًا عن الجاني.

وذلك لأن النفسَ البشريةَ مُعَظَّمةٌ مكرَّمةٌ عند اللهِ تعالى، فحرَّمَ اللهُ تعالى التعدِّيَ عليها بخيرِ حقٍّ؛ قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ، التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ**»[1].

أي: لا يحِلُّ قتلُ امرئٍ مسلمٍ إلا مَن قَتل عمدًا بغير حقٍّ، والزانيَ المحصَنَ، والمرتدَّ عن دينِ الإسلام، فلا يحلُّ قتلُ إلا مَن أَذِنَ الشرعُ بقتلِه، كدفعِ الصائلِ وغيرِ ذلك، فقد روى مسلمٌ عن أبي هريرةَ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

[1] صحيح البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).

أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»[١].

٥- لا يَرِثُ القاتلُ:

فهذا القاتلُ في قصةِ البقرةِ قتلَ قريبًا له مِن أجلِ أنه كانَ يتعجَّلُ ميراثَه، فكانَ الحِرمانُ؛ لأن اللهَ تعالى جعلَ من موانعِ الميراثِ القتلَ أيًّا كان نوعُه؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**لَا يَرِثُ الْقَاتِلُ**»[٢].

٦- مَن تعجَّل شيئًا قبل أوانِه عوقِب بحِرمانِه:

فهذا القاتلُ الذي تعجَّلُ وقتَلَ قريبَه ليرِثَ مالَه قد تعجَّل هذا المالَ قبل أوانِه، فعُوقِبَ بحِرمانِه من الميراث؛ لأن القاتلَ لا يرِث.

وهذه قاعدةٌ فقهيةٌ معروفةٌ ومشهورةٌ، ولهذا قال السعديُّ رحِمه اللهُ في المنظومةِ الفقهية:

مُعَاجِلُ الْمَحْظُورِ قَبْلَ آنِه * قَدْ بَاءَ بالخُسْرَانِ مَعْ حِرمانِه

---

[١] أخرجه مسلم (١٤٠).

[٢] أخرجه أحمد (٣٤٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أمثلةِ هذه القاعدةِ:

١- قولُ النبيِّ ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ**»[١]؛ أي: مَن تعجَّل شُربَ الخمرِ في الدنيا، عوقِبَ بحرمانِه مِن شُربِ خمرِ الجنةِ في الآخرةِ، وهي مِن نعيمِ أهلِ الجنةِ، الذي قال الله فيه: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾} [محمد:١٥].

٢- وقولُ النبيِّ ﷺ: «**لَا يَرِثُ الْقَاتِلُ مِنَ الْمَقْتُولِ شَيْئًا**»[٢]؛ فالقاتلُ الذي تعجَّل قتلَ مُوَرِّثِه ليرِثَ مالَه عُوقِبَ بحرمانِه من هذا الميراثِ، سواءً أكانَ القتلُ عمدًا، أو شِبهَ عمدٍ، أو خطأً؛ سدًّا

---

[١] أخرجه البخاري (٥٥٧٥)، ومسلم (٢٠٠٣).

[٢] سنن الدارمي (٣١٢٢).

للذريعةِ؛ حتى لا يزعُمَ القاتلُ عمدًا أن القتلَ وقعَ منه خطأً؛ ليستحقَّ الميراثَ، ولذلك نجِدُ جميعَ أنواعِ القتلِ تمنعُ الميراثَ.

٣- **لو قَتلَ الموصَى إليه الموصِيَ، فإنه يُحرَم منَ الوصيةِ**؛ لأنه تَعجَّلَها بقتلِ الموصِي، ومَن تعجلَ شيئًا قبل أوانِه عُوقِب بحرمانِه.

٤- **مَن طلَّقَ امرأتَه طلاقًا بائنًا في مرَضِ موتِه**؛ لِيحرِمَها مِنَ الميراثِ، فإنها ترِثُه إنْ ماتَ؛ ردًّا لِكَيدِه، وحرمانًا لمرادِه[١].

٥- **الفارُّ من الزَّكاةِ قبل تمامِ الحَولِ بنقصِ النِّصابِ أو إخراجِه عن مِلكِه**، تجبُ عليه الزكاةُ؛ لأنها حيلةٌ على مُحرَّمٍ.

٦- **تخليلُ الخمرِ** لتتحوَّلَ إلى خَلٍّ لا يُفيدُ حِلَّها ولا طهارَتَها على المذهبِ الصحيح[٢].

قال النبيُّ ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**»[٣].

وهذا في حقِّ الرجالِ.

---

[١] شرح منظومة القواعد الفقهية للسعدي.

[٢] قواعد ابن رجب ص(٤٠١-٤٠٣).

[٣] أخرجه البخاري (٥٨٣٣)، ومسلم (٢٠٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا معنى قولِ بعضِ الفقهاءِ: مَن قصدَ إلى ما فيه إبطالُ قصدِ الشارعِ عُوقِبَ بنَقيضِ قصدِه[١].

ومرادُ الفقهاءِ بذلك: الاستعجالُ؛ أي: أن يكونَ قد استعجَلَ شيئًا على وجهٍ محرَّمٍ أو بسببٍ محرَّمٍ؛ لتعجيلِ ما حقُّه التأخيرُ[٢].

فالإنسانُ إذا تعجَّلَ حقَّه على وجهٍ محرَّمٍ فإنه يُمنَعُ من ذلك الحقِّ؛ لأنَّ نِعَمَ اللهِ ورِزقَ اللهِ لا يُنالُ بمعصيتِه.

وكان مِن حِكمةِ الشريعةِ في حرمانِ هذا المتعجِّلِ أنه لو أُبيحَ للإنسانِ أن يتعجَّلَ حقَّه على وجهٍ محرَّمٍ لانتُهِكتِ الحُرُماتُ؛ لأنَّ النفوسَ مجبولةٌ على الطمعِ والجَشعِ، فإذا مُنِعَ الإنسانُ مِن حقِّه تَعَجُّلَه على وجهٍ محرمٍ، فإنَّ ذلك يَردَعُه عن فِعلِ المحرَّمِ.

أما إذا كان الاستعجالُ على وجهٍ مباحٍ، فإن هذا جائزٌ ولا بأسَ به، ومثال ذلك:

---

[١] موسوعة القواعد الفقهية د/ محمد صدقي (١٠/ ٩٢٧-١١/ ١٠٦٢).

[٢] موسوعة القواعد الفقهية د/ محمد صدقي (١٠/ ٩٢٧-١١/ ١٠٦٢).

رجلٌ له دَينٌ عند آخَرَ مِقدارُه عشرةُ ألافِ جنيهٍ، تستحِقُّ السَّدادَ بعد سنةٍ، فأراد الدائنُ مِن المدينِ أن يقضيَ له المالَ قبلَ الميعادِ بشهرينِ أو أكثرَ على أن يتنازَلَ له عن ألفَيْ جنيهٍ، فقام الآخَرُ بسدادِ ثمانيةِ ألافٍ قبل الموعدِ المتفَّقِ عليه، فهنا تَعجَّل الدائنُ دَيْنَه قبل أوانِه في مقابلِ التنازُلِ عن شيءٍ من المالِ؛ لكنه على وجهٍ مباحٍ؛ لأنَّ له أن يُسقِطَ مِن دَينِه ما شاءَ، وله في ذلك أجرٌ إن شاءَ اللهُ[1].

ويُعَدُّ استعجالُ الأمرِ قبل أوانِه مِنَ التقدُّمِ بين يدَيِ اللهِ ورسولِه، ومِن سُوءِ الأدبِ مع اللهِ تعالى، قال الله سبحانه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١} [الحجرات:١].

وهذه القاعدةُ تُمثِّل جانبًا من جوانبِ السياسةِ الشرعيةِ في القمعِ وسدِّ الذرائعِ؛ لأنَّ فاعلَ ذلك وقعَ في جريمتينِ:

الأولى: ارتكابُه المحرَّمَ؛ استعجالًا لرزقِه.

---

[1] شرح منظومة أصول الفقه وقواعده، لابن عثيمين (٣٤٤-٣٤٦).

الثانية: تحايُلُه على الشرعِ بطريقةٍ محرَّمةٍ للوصولِ إلى هذا الرزقِ.

والثانيةُ أشرُّ وأخبثُ مِن الأولى؛ فإن اللهَ تعالى مسَخ أصحابَ السَّبْتِ قِرَدةً وخنازيرَ؛ بسببِ تحايُلِهم على استحلالِ ما حرَّم الله.

ومن الأمثلة المعاصرةِ لقاعدةِ «مَنِ استعجلَ شيئًا قبل أوانِه عوقِب بحرمانِه»:

أ- ارتكابُ الخاطبِ والمخطوبةِ المحظوراتِ الشرعيةِ، كالخَلْوةِ والنظرةِ المحرَّمةِ والمصافحةِ، أو استمتاعِ كلٍّ منهما بالآخَرِ بالزِّنا أو بما دونَه، كلُّ هذا يكونُ غالبًا سببًا في فَسخِ الخِطبةِ أو الطلاقِ بعدَ العقدِ وحصولِ المصائبِ والمضارِّ، كما هو الحاصلُ الآنَ في البيوتِ والمجتمعاتِ الهابطةِ والمفرِّطةِ في شرعِ اللهِ، نَسألُ اللهَ السَّلامةَ والعافيةَ!

ب- أخذُ القروضِ الرِّبويةِ؛ لعملِ المشروعاتِ المختلفةِ، فتكونُ العاقبةُ مَحْقَ المالِ وبركتِه، وحربَ اللهِ على المُرابينَ،

وخُسرانَ المالِ مع العقوباتِ الأخرى، فيعامَلُ العبدُ بنقيضِ قصدِه، والجزاءُ من جنسِ العملِ.

ج- **التجارةُ في المحرَّماتِ** كالمخدِّراتِ وغيرِها، وكسبِ المالِ من غيرِ حِلِّه كالرِّشوةِ، والاختلاسِ، والسَّرِقةِ، والغشِّ، والتطفيفِ، في الكيلِ والميزانِ، وأخذِ الفائدةِ مقابلَ الإقراضِ بالرِّبا ونحوِ ذلك، كلُّ هذا استعجالٌ لأخذِ المالِ من غيرِ حِله، وكلُّ هؤلاءِ معرَّضون لعقوبةِ اللهِ في الدنيا، إما بسلبِ المالِ والحرمانِ منه، أو بالسِّجنِ والعقوباتِ المختلفةِ، أو بسلبِ الصحةِ، أو بفسادِ الولدِ أو الزوجةِ، أو بألوانِ المَهانةِ والذلِّ والحرمانِ في هذه الدنيا، والحسرةِ على هذا المالِ.

قال اللهُ تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴿١٨٣﴾} [الأعراف:١٨٢-١٨٣].

وقال النبيُّ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ، فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ**». ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾} [الأنعام:٤٤][1].

وقال تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾} [المؤمنون:٥٥-٥٦].

وكما أن المُتعجِّلَ للمحظورِ يُعاقَبُ بالحرمانِ، فإنَّ مَن ترك شيئًا تهواه نفسُه للهِ عوَّضَه اللهُ خيرًا منه.

فمَن ترك المعاصيَ ونفسُه تشتهيها عوَّضَه اللهُ إيمانًا في قلبِه، وانشراحًا في صدرِه، وصحةً في بدنِه، وسَعَةً في رزقِه، مع ما له من عظيمِ الأجرِ عند الله.

ومَن غضَّ بصرَه عنِ المحرَّماتِ لله أبدله اللهُ حلاوةَ إيمانٍ يذوقُها في قلبِه إلى يومِ يلقاه.

ومَن تعفَّفَ عن الزنا لله مع توفُّرِ دواعيه ووسائلِه أبدلَه اللهُ العِفَّةَ والزوجةَ الصالحةَ، وصلاحَ الذريةِ، وصلاحَ الدنيا والآخِرةِ، فهذا يوسُفُ بنُ يعقوبَ تعفَّفَ عنِ الزنا مع توفُّرِ دواعيه، وقال: {مَعَاذَ

---

[1] أخرجه أحمد (١٧٣١١).

اللهِ}، فأبدله اللهُ العلمَ والحِكمةَ، والنُّبوَّةَ والمُلكَ، والرِّفعةَ في الدنيا والآخرةِ.

وهذا جُرَيجٌ العابدُ تعفَّفَ عنِ الزنا فجعلَ اللهُ له الكرامةَ والعلوَّ في الدنيا والآخرة.

وهؤلاءِ الصحابةُ الكرامُ تركوا الدنيا للهِ فأخلفَ اللهُ عليهم بدنيا أعظمَ منها، وجعلهم ساداتِ أهلِ الدنيا والآخرةِ، ورضيَ عنهم وأرضاهم.

٧- حُرمةُ الاستهزاءِ بأحكامِ الدينِ وبالناسِ:

قال بنو إسرائيلَ لموسى: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾} [البقرة:٦٧]؛ وذلك لأن الأمرَ أمرُ دينٍ، وليس في أحكامِ الدينِ استهزاءٌ؛ لأنَّ الاستهزاءَ بأحكام الدين كفرٌ بالله الذي شرَع هذا الدينَ؛ لقول اللهِ تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ} [التوبة:٦٥-٦٦].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه الآيةُ نزلتْ في المنافقين، فالاستهزاءُ بالدينِ من صفاتِ الزنادِقة المنافقين الكافرين، ولهذا قال موسى عليه السلام: {أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ}.

وأما الاستهزاءُ بالناسِ والسخريةُ منهم فهو حرامٌ، ومن أكبرِ الكبائرِ؛ لقولِ اللهِ تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾} [الحجرات:١١].

والاستهزاءُ بأهلِ الإيمانِ من صفاتِ الكافرين، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾} [البقرة:٢١٢].

وقال تعالى عن قومِ نوحٍ: {وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾} [هود:٣٨].

وحينما يدخلُ الكفارُ النارَ يقولون: {رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١} [المؤمنون:١٠٧-١١١].

والاستهزاءُ من صفاتِ المجرمين، قال تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦} [المطففين:٢٩-٣٦].

ومن صفاتِ المنافقين، قال تعالى عنهم: {وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥} [البقرة:١٤-١٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالاستهزاءُ بالمسلمِ لشخصِه أو لهيئتِه ونحوِ ذلك فهذا مِنَ الفِسقِ ومِن أكبرِ الكبائر.

وأما الاستهزاءُ بالمسلمِ لِتَدَيُّنِه أو بسببِ لِحيتِه، أو الاستهزاءُ بحجابِ المرأةِ المسلمةِ، ونحوِ ذلك من شعائرِ الدينِ: فهذا كفرٌ، ويتبينُ ذلك من سببِ نزولِ آيةِ التوبة:

فعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ قال: قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ، لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ. فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ. وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «{أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ}»[1].

---

[1] أخرجه الطبري في التفسير (١٦٩١٢).

أي: فليس لكم عذرٌ؛ لأنَّ هذا لا يدخُلُه الخَوضُ واللَّعِبُ، وإنما تُحترَمُ هذه الأشياءُ وتعظَّمُ ويُخشَعُ عندها؛ إيمانًا باللهِ ورسولِه، وتصديقًا وتوقيرًا، ومن هذا البابِ الاستهزاءُ بالعلمِ وأهلِه، وعدمُ احترامِ أهلِ العلمِ، و الوقيعةُ فيهم[1].

٨- ذمُّ الجهلِ والجاهلين:

قال موسى ﷺ ردًّا على قومِه الذين قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}، قال لهم: {أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ}؛ أي: أعوذُ باللهِ أن أكونَ من السفهاءِ الذين يقولون على اللهِ الكذبَ والباطلَ.

والجهلُ أعظمُ آفةٍ يعيشُها الإنسانُ، وهو العدوُّ الأولُ للإنسانِ؛ لأن الجاهلَ عدُوٌّ نفسِه، وعدُوٌّ للجميعِ، لا يعرفُ غيرَ الأحقادِ والصراعاتِ والعداواتِ.

ولكل أمةٍ جُهَّالُها، وعددُهم أكثرُ من علمائِها وأكثرُ من طلابِ العلمِ فيها.

---

[1] حاشية عبد الرحمن بن قاسم على كتاب التوحيد ص(٣٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمقصودُ بالجهلِ المذمومِ: هو الجهلُ باللهِ، وآياتِه، ورُسلِه، وكتبِه، وتشريعاتِه، قال اللهُ تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩} [الزمر:٩].

وقال النبيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[١].

وقال ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[٢].

وقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٣].

فالجاهلُ ضالٌّ في نفسِه، مُضِلٌّ لغيرِه، قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[٤].

---

[١] صحيح البخاري (٥٠٢٧).
[٢] صحيح مسلم (٢٦٩٩).
[٣] صحيح البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).
[٤] أخرجه البخاري (١٠٠).

وهكذا الجاهلُ إذا سُئِل أفتى بغيرِ علمٍ، فيُضِلُّ نفسَه، ويُضِلُّ غيرَه بجهلِه.

وهذا من أشراطِ الساعةِ؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَّاعَةٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ**». قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**السَّفِيهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[١]، وفي لفظ: «**الرَّجُلُ التَّافِهُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ**»[٢].

فالجهلُ داءٌ خطيرٌ، وشرٌّ مستطيرٌ، وهو رأسُ كلِّ خطيئةٍ، ومَنشأُ كلِّ ضلالٍ، وسببٌ عظيمٌ لإضاعةِ الدينِ والدنيا.

لذا ينبغي أن يكونَ المرءُ على بصيرةٍ من أمرِه، وألَّا يقعَ فيما وقعَ فيه أهلُ الجهلِ.

وللجهلِ معانٍ في الكتابِ والسنة:

---

[١] أخرجه أحمد (٧٩١٢).

[٢] سنن ابن ماجه (٤٠٣٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأول: الجهلُ هو السَّفَهُ، وروايةُ الكذِبِ عن اللهِ ورسولِه ﷺ، وهذا معنى قولِ موسى عليه السلام: {أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾} [البقرة:٦٧]؛ أي: السُّفهاءِ الذين يَكذِبون على الله.

الثاني: الجهلُ هو اعتقادُ الشيءِ على خلافِ ما هو عليه، كقولِه تعالى عن الفقراءِ المتعفِّفين: {يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ} [البقرة:٢٧٣]؛ أي: يعتقدُ مَن لا يعرِفُهم أنهم أغنياءُ بسببِ تعفُّفِهم عنِ المسألةِ وصبرِهم على الضرَّاء.

الثالث: الجهلُ هو المعصيةُ، كقولِه تعالى: {إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ} [النساء:١٧]؛ فكلُّ مَن عصى اللهَ فهو جاهلٌ حتى يتوبَ إلى اللهِ، وكقوله تعالى عن يوسفَ: {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾} [يوسف:٣٣]؛ أي: إن لم تحفَظْني عنِ المعصيةِ سأكونُ من العُصاةِ المذنبين الجاهلين.

الرابع: الجهلُ بأنَّ الهدايةَ والضلالَ بيدِ الله وحده، كما في قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا

عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ ١١١} [الأنعام:١١١]؛ أي: يحسَبُ المشركون أن الإيمانَ والكفرَ والهدايةَ والضلالَ بأيديهِم، يؤمنون متى شاؤوا، ويكفرون متى شاؤوا، وهذا لجهلِهمُ المبين، وليس ذلك إليهِم، إنما هو بيدِ الله وحدَه، كما قال تعالى: {وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ٣٦ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ ٣٧} [الزمر:٣٦-٣٧].

الخامسُ: الجهلُ ضدُّ العلمِ أو خلافُ العلمِ.

كما في قولِه تعالى عن موسى وقومِه: {قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨} [الأعراف:١٣٨]؛ أي: لا تعلمون عظمةَ اللهِ وواجبَ حقِّه عليكم من التوحيدِ وإخلاصِ العبوديةِ له وحدَه.

وقال تعالى: {إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب:٧٢]؛ أي: كان ظلومًا لنفسِه باتِّباعِه لِهواه، وجهولًا بعدم علمِه بمرادِ الله ﷻ.

السادسُ: الجهلُ هو القولُ بخلافِ الحقِّ، كما في قولِه تعالى: {خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ} [الأعراف:١٩٩]؛ أي: أعرِضْ عمَّن قال بخلافِ الحقِّ.

السابعُ: الجهلُ هو فعلُ الشيءِ على خلافِ ما حقُّه أن يُفعلَ، كقولِه تعالى عن لوطٍ وقومِه: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾} [النمل:٥٤-٥٥]؛ أي: أنتم سفهاءُ جَهَلةٌ فَسَقةٌ تُعارِضون الفِطرةَ، فتتركون الزواجَ الشرعيَّ بالنساء، وتفعلون المنكرَ المحرَّمَ بإتيانِ الرجالِ.

الثامن: الجهلُ فعلُ ما يضرُّ، كقولِه تعالى عن هودٍ مع قومه: {قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾} [الأحقاف:٢٣].

التاسع: الجهلُ سوءُ الظنِّ بالله، كظنِّ المنافقين والمشركين ظنَّ أهلِ الجاهليةِ، كقوله تعالى عن المنافقين: {وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ} [آل عمران:١٥٤].

وذلك كالشكِّ في أمرِ الله وتكذيبِ الرسولِ ﷺ، ونحو ذلك.

العاشر: الحكمُ بغيرِ ما أنزل الله، سواءٌ بالقوانينِ الوضعيةِ، أو الأعرافِ القَبَلية، أو بالرأيِ والهوى، فكلُّ حكمٍ يخالفُ حكمَ اللهِ فهو جهلٌ وجاهليةٌ، كما قال اللهُ تعالى: {أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾} [المائدة:٥٠].

الحادي عشَرَ: الجهلُ هو التبرُّجُ والسفورُ وعدمُ الالتزامِ بالحجابِ الشرعيِّ للنساءِ، قال اللهُ تعالى: {وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ} [الأحزاب:٣٣].

الثاني عشَرَ: الجهلُ هو التخلقُ بأخلاقِ وعاداتِ أهلِ الكفرِ منَ اليهودِ والنصارى والمجوسِ والملحِدين ونحوِهم، كما قال تعالي: {إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ

ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾}

[الفتح:٢٦].

فمصطلحُ الجهلِ لم يُذكَرْ في القرآنِ والسُّنةِ إلا على سبيلِ الذمِّ والاحتقارِ؛ ولذا قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَكْثُرَ الجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَا، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً القَيِّمُ الوَاحِدُ**»[١].

فإذا كثُر الجهلُ وفشا كثُرتِ الفواحشُ.

والموصوفون بالجهل في القرآن ثلاثةُ أنواعٍ من الناس، كلُّهم مذمومون: إما كافرٌ جاحدٌ لرسالةِ نبيِّه، وإما مشركٌ، أو منافقٌ مضيِّعٌ للأمانةِ الكبرى التي كلَّف اللهُ بها الإنسانَ، وإما مؤمنٌ عاصٍ غلَبَتْه شهوتُه، فوقع فيما يجِبُ الاستغفارُ والتوبةُ منه.

والجهل ثلاثةُ أنواعٍ:

جهلٌ بسيطٌ: وهو فهمُ مسألةٍ من غيرِ علمٍ.

---

[١] صحيح البخاري (٥٢٣١).

جهلٌ كاملٌ: وهو خلافُ العلمِ بالمسألةِ؛ أي: صاحبُها لا يعلمُ عنها شيئًا.

جهلٌ مركَّب: وهو أسوأُ أنواعِ الجهلِ، هو اعتقادُ المرءِ غيرَ الحقيقة، مع قناعتِه أنه على الحقِّ المبين.

فمن أضرارِ الجهلِ وعواقبِه الوخيمةِ ما يأتي:

١- ضياعُ الأمةِ ووهْنُها وتسلُّطُ الأعداءِ عليها، وتمكُّنُهم منها، فعن ثوبانَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا**». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ**». قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ**»[١].

فهذا الوَهْنُ الذي صَيَّر حالَ أكثرِ الأمةِ غثاءً كغثاءِ السيلِ نشَأ عن الجهلِ بالله ورسولِه، وكتابِه وسنتِه، والجهادِ في سبيلِه، فصاروا

---

[١] أخرجه أحمد (٢٢٣٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بجهلِهم لا هدفَ لهم إلا الدنيا، وصاروا بجهلِهم مُوالين لعدوِّهم، متشبِّهين بهم، يُنَفِّذون مخططاتِهم، قد قَلَّتْ فيهمُ النخوةُ والقيادةُ، وحبُّ الدينِ والغَيرةِ على عقيدتِه وأهلِه، وصاروا ذيلًا لأَحطِّ خلقِ اللهِ من اليهودِ والنصارى والملاحِدة.

٢- الجهلُ سببٌ في القتلِ وضياعِ الأرواحِ:

عن جابر ﷺ قال: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ، فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ. فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ، أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ- أَوْ يَعْصِبَ- شَكَّ مُوسَى- عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا، وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ**»[١].

---

[١] سنن أبي داود (٣٣٦)، وسنن الدار قطني (٧٢٩).

قال الألبانيُّ: حديثُ حسنٌ دونَ قولِه: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ- أَوْ يَعْصِبَ- شَكَّ مُوسَى - عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ**».

والشاهدُ من هذا الحديثِ: أن الفتوى بغيرِ علمٍ كانت سببًا في موتِ الرجلِ الذي أصابه الجرحُ، وهكذا يفعلُ الجهل.

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[1].

ووجهُ الدلالةِ من هذا الحديثِ: أن الراهبَ أفتى بغيرِ علمٍ فكانت النتيجةُ أنه قُتِلَ، وحملَ السائلَ على ارتكابِ جريمةِ قتلٍ أخرى، فكان الراهبُ الجاهلُ نفسُه هو المقتولَ، وهكذا يفعل الجهلُ بأهلِه والتكلمُ في دين اللهِ بغيرِ علمٍ.

٣ـ الجهلُ يورثُ الضلالَ وغضَبَ اللهِ على العُصاة.

فقد أمرَنا اللهُ تعالى أن ندعوَه في كلِّ ركعةٍ ونقولُ: {ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧} [الفاتحة:٦-٧] وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى**»[2]؛ وذلك لأن

---

[1] صحيح مسلم (٢٧٦٦).

[2] أخرجه أحمد (١٩٣٨١).

النصارى عبدوا اللهَ على جهلٍ، فضَلُّوا وأضَلُّوا عن سواءِ السبيل، واليهودَ علِموا الحقَّ ولم يعملوا به، وجهِلوا عظيمَ قدرِ ربِّهم؛ فضَلُّوا كذلك، فتسبَّب الجهلُ في ضلالِ هؤلاءِ، وفي غضبِ اللهِ على هؤلاءِ، وكلا الفريقينِ هالِكٌ، ومن أهلِ النار.

فالجهلُ حمَل النصارى على الرَّهبانية: {وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد:٢٧]، وحملهم على أن غَلَوا في دينِهم غيرَ الحقِّ، واتبعوا أهواءَ قومٍ قد ضلوا من قبلُ، وأضلوا كثيرًا، وضلوا عن سواءِ السبيل، قال الله تعالى: {قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾} [المائدة:٧٧].

فحملهم الجهلُ والغلُوُّ على أن عبدوا المسيحَ، ونسبوا للهِ الولدَ، وقدَّسوا الصليبَ... إلى آخرِه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما اليهودُ فقد كَذَبوا على اللهِ، وكتبوا الكتبَ بأيديهم ونسبوها للهِ ﷻ، وقتلوا أنبياءَه، وشرَّدوا أولياءَه، ووصفوا اللهَ بأقبحِ الأوصافِ.

٤- الجهلُ يورثُ الانحرافَ عنِ الصراطِ المستقيمِ وسبيلِ المؤمنين:

فهؤلاءِ الخوارجُ حملَهم الجهلُ وعدمُ لزومِهم الكتابَ والسُّنةَ بفهمِ الصحابةِ الكرامِ على الخروجِ على ولاةِ أمورِ المسلمين، فكفَّروهم، واستحلُّوا دماءَهم وأموالَهم، وعاثوا في الأرضِ فسادًا، فقتلوا عثمانَ بنَ عفانَ، وعليَّ بنَ أبي طالبٍ، وطلحةَ، والزبيرَ ﷺ، وغيرَهم من الصحابةِ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِنا هذا.

ومِن قبلُ أساؤوا الأدبَ مع رسول الله ﷺ، وهو يقسِم غنائمَ حُنَينٍ، وقال قائلهم: اعدِلْ يا محمدُ. كما ورد في حديث أبي سعيدٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ**

أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ »[١]. وقال: «هم كِلَابُ النَّارِ» [٢]، وقال: «هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ» [٣].

٥- الجهلُ سببٌ في ظهورِ الشِّركِ وانتشارِه والفواحشِ وانتشارِها:

ففي حديثِ أبي هريرةَ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ- وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»[٤].

فإذا ثبتَ الجهلُ انتشرت الفواحشُ من زنا وخمرٍ وقتلٍ... إلى آخره.

---

[١] صحيح البخاري (٣٦١٠).
[٢] مسند أحمد (١٩١٣٠).
[٣] صحيح مسلم (١٠٦٧).
[٤] صحيح البخاري (١٠٣٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما عن ظهور الشركِ وانتشارِه فهو أعظمُ مخاطرِ الجهلِ؛ فجماعةٌ من قومِ موسى مرُّوا على قومٍ يَعكُفون على عبادةِ أصنامٍ لهم: {قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨} [الأعراف:١٣٨].

وقد ورد من حديث أبي واقدٍ اللَّيثيِّ ﷺ: أَنَّهُمْ خَرَجُوا عَنْ مَكَّةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَ لِلْكُفَّارِ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُعَلِّقُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ خَضْرَاءَ عَظِيمَةٍ، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى**: {ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨} [الأعراف:١٣٨]»[1].

وهكذا فإنَّ الجهلَ يحملُ الناسَ على عبادةِ غيرِ الله، وعلى عبادةِ الأصنامِ والقبورِ والصالحين والأشجارِ وغير ذلك.

---

[1] مسند الإمام أحمد (٢١٨٩٧).

ولذلك رُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ ﷺ أن سببَ ظهورِ الشركِ في قومِ نوحٍ هو الغلوُّ في الصالحين، ففي تفسير قوله تعالى: {وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾}، قال ابنُ عباسٍ قال: وَهِيَ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ. فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدت[1].

٦- الجهلُ أساسُ الإحداثِ والابتداعِ في الدين:

قال تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾} [الكهف:١٠٣-١٠٤]، فبجهلِهم ضلَّ سعيُهم، عمِلوا على جهلٍ وبلا دليلٍ ولا بُرهانٍ منَ اللهِ ورسلِه فضلُّوا وأضلُّوا.

---

[1] تفسير ابن كثير (٨/ ٢٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعظمُ سبيلٍ لعلاجِ الجهلِ هو طلبُ العلمِ بالتفقهِ في الدين، وتدبُّرِ آياتِ القرآنِ الحكيمِ، وحضورِ مجالسِ العلم، وسؤالِ أهلِ العلمِ، كلٌّ في تخصُّصِه.

قال النبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ، وَمَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**»[١]، وقال: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[٢].

وقال تعالى: {فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧} [الأنبياء:٧]، وقال النبيُّ ﷺ: «**أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**»[٣].

والإنسان إذا فعل شيئًا محرَّمًا جاهلًا بحرمته، فإنه لا يأثمُ؛ لقول الله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء:١٥]؛

---

[١] المعجم الكبير للطبراني (٩٢٩).
[٢] صحيح البخاري (٥٠٢٧).
[٣] سنن أبي داود (٣٣٦).

أي: أن اللهَ لا يعذبُ أحدًا إلا بعد إقامةِ الحجةِ عليه بتعليمِه؛ أي: إنه يُعذَر بجهلِه، حتى يُعلَّمَ أو يتعلمَ؛ ولكنه يأثمُ إذا قصَّرَ وفرَّط في تعلُّمِ العلمِ، ومعرفةِ الحق.

فالعذرُ بالجهلِ ليس على إطلاقِه؛ لأنَّ الإنسانَ لا يجوزُ له أن يُقدِمَ على فعلِ شيءٍ حتى يَعلَمَ حُكمَ اللهِ فيه أوَّلًا، قال البخاريُّ: بابُ العلمِ قبلَ القولِ والعمل.

فليس كلُّ جهلٍ يكونُ صاحبُه معذورًا، وإلا فلو عُذِرَ كلُّ جاهلٍ لكان الجهلُ خيرًا وأنفعَ لصاحبِه مِن العلم، ولذلك قال الشافعيُّ رحِمه الله: لو عُذِرَ الجاهلُ لأجلِ جهلِه لكان الجهلُ خيرًا مِن العلمِ، إذا كان الجهلُ يَحُطُّ عنِ العبدِ عناءَ التكليفِ، ويُريحُ قلبَه من ضروبِ التعنيفِ، فلا حجةَ للعبدِ في جهلِه بالحكمِ بعد التبليغِ والتمكينِ، لِئَلَّا يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ بعد الرسلِ»[1].

ولأجلِ ذلك أمر اللهُ ورسولُه ﷺ بطلبِ العلم.

---

[1] المنثور في القواعد الفقهية (٢/ ١٧).

٩ـ الأصلُ في الأوامرِ في الكتابِ والسُّنةِ أنَّها للوجوبِ إلا إذا جاء صارفٌ يصرِفُها إلى الاستحبابِ أو الإباحةِ:

فمِن المعلومِ في علم أصولِ الفقهِ أن الأحكامَ التكليفيةَ خمسةٌ، هي: الواجبُ، والمستحبُّ، والمباحُ، والمحرَّمُ، والمكروه.

الواجبُ: ما أمر به الشرعُ على وجهِ الإلزامِ، مثلُ: الصلواتِ الخمس، وصيامِ رمضان، وزكاةِ الفطرِ، وزكاةِ المالِ لمَن كان من أهلها، وحجِّ البيتِ لمَن استطاع إليه سبيلًا.

حكمُه: يثابُ فاعلُه، ويأثمُ تاركُه.

والمندوبُ: هو ما أمر به الشرعُ، ليس على وجهِ الحَتْمِ والإلزامِ، وإنَّما على وجهِ الاستحبابِ، مثلُ: قيامِ الليلِ، وصلاةِ السُّنن الرواتب والضحى، وصيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، والأيامِ الستةِ من شهرِ شوَّال، وصيامِ يومي الاثنين والخميسِ من كلِّ أسبوعٍ، وصدقةِ التطوع، وكثرةِ الذِّكرِ، وهذا يُسمَّى نفلًا، وسُنَّةً، ومُستحبًّا.

وحكمُه: يُثاب فاعلُه امتثالًا، ولا يأثمُ تاركُه.

المباحُ أو الحَلالُ أو الجائزُ: وهو ما لا يتعلقُ به أمرٌ ولا نهيٌ لذاتِه، مثلُ الأمرِ بتناول الطعامِ والشراب، وممارسةِ البيع والشراءِ، والسياحةِ في الأرض للتجارةِ والنظرِ والاعتبار.

وقيَّدْنا تعريفَ المباحِ بكلمةِ «لذاتِه»؛ لأنه قد يتعلَّقُ به أمرٌ خارجٌ عنه، فيجعلُه مأمورًا به على سبيلِ الوجوبِ، أو الاستحبابِ، أو مَنهيًّا عنه على سبيلِ التحريمِ أو الكراهةِ، فمثلًا: شراءُ الماءِ الأصلُ فيه أنه مباحٌ؛ لكن إذا توقَّف عليه الوضوءُ لصلاةِ الفريضةِ صارَ واجبًا؛ لأنَّ ما لا يتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ.

والسفرُ للسياحةِ مباحٌ؛ ولكن إذا كان السفرُ لبلاد الكفارِ لغيرِ ضرورةٍ شرعيةٍ، صار محرَّمًا لنهيِ النبيِّ ﷺ عنه؛ لأنه ذريعةٌ للوقوعِ في الحرام والفتنةِ في الدِّين.

والمحرَّم: هو ما نهى عنه الشرعُ على سبيلِ الإلزام والتركِ، كالزنا، والسَّرِقة، والخيانةِ، وشُربِ الخمورِ، والمخدِّراتِ، وعقوقِ الوالدين، وتبرُّجِ النساءِ، وحلقِ اللحيةِ... إلى آخره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحكمه: يثابُ تاركُه امتثالًا، ويأثمُ فاعلُه.

والمكروه: هو ما نهى عنه الشرعُ، وليس النهي على وجهِ الإلزامِ بالترك، مثل: اتباع النساءِ للجنائز، والسَّمَرِ بعد العشاءِ لغيرِ حاجةٍ، والأخذ والعطاء بالشِّمال.

وحكمه: يثابُ تاركه امتثالًا، ولا يعاقَبُ فاعلُه.

وفي هذه القصةِ قال موسى لبني إسرائيلَ: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ}؛ أي: يأمرُكم أمرًا وجوبيًّا لا تهاونَ فيه؛ فالأصلُ في الأمرِ الوجوبُ ما لم تأتِ قرينةٌ تصرِفُه من الوجوبِ إلى الاستحبابِ أو الإباحةِ.

ومثالُ الأمرِ المصروفِ لغيرِ الوجوب قولُ النبيِّ ﷺ: «**صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ**»، ثُمَّ قَالَ عِنْدَ الثَّالِثَةِ: «**لِمَنْ شَاءَ**»[1]. فصرَفَ الأمرَ من الوجوب إلى الاستحباب بقوله ﷺ: «**لِمَنْ شَاءَ**».

---

[1] مسند الإمام أحمد (٢٠٥٥٢).

وقول النبيِّ ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَلْيَغْتَسِلْ**»[١]. فظاهره يدل على الوجوب والإلزام؛ ولكنه قال في موضعٍ آخرَ: «**لَيْسَ عَلَيْكُمْ فِي غَسْلِ مَيِّتِكُمْ غُسْلٌ إِذَا غَسَّلْتُمُوهُ، فَإِنَّ مَيِّتَكُمْ لَيْسَ بِنَجَسٍ، فَحَسْبُكُمْ أَنْ تَغْسِلُوا أَيْدِيَكُمْ**»[٢].

١٠- مشروعيةُ ذبحِ ونحرِ الأبقار، كغيرها من بهيمة الأنعام:

فقد قال موسى لقومه: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ}.

والبقرة: هي اسمٌ لأنثى الثَّور، وسُمِّيتْ بقرةً؛ لأنها تبقرُ الأرضَ؛ أي: تشقُّها بالمِحراث.

ويجوزُ في البقرِ الذبحُ والنحرُ؛ لأمر اللهِ تعالى هنا بذبح بقرة، ولقول النبيِّ ﷺ وهو يُحدِّثُ الصحابةَ عنِ الرُّؤيا التي رآها قبلَ غزوةِ أُحُد: «**وَرَأَيْتُ بقرًا تُنحَر**»[٣]، ويستحِبُّ أكثرُ العلماءِ في البقرِ

---

[١] مسند الإمام أحمد (٧٧٧٠)، وسنن ابن ماجه (١٤٦٣).

[٢] المستدرك علي الصحيحين للحاكم (١٤٢٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (١٤٦١).

[٣] صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٦٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذبحَ، وكذلك الأَوْلى في الغنمِ الذبحُ، والأَوْلى في الإبل النحرُ؛ لفعل النبيِّ ﷺ في حجةِ الوداعِ؛ فقد نحرَ بيدِه ثلاثًا وستينَ، وترك البقيةَ لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ.

وكذلك الأَوْلى في الخيل النحرُ؛ لحديثِ أسماءَ في الصحيحين: «نَحَرْنَا فَرَسًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَكَلْنَاهُ»[١]، وقد ورد الحديثُ أيضًا بلفظِ: «ذَبَحْنَا»[٢]؛ لكِنَّ فريقًا من العلماء رجَّحُوا لَفْظةَ: «نَحَرْنَا».

١١- المُزاحُ المباحُ والمشروعُ:

يُشترَط في المزاحِ المباحِ الشروطُ الآتيةُ:

أ- **لا يكونُ إلا صِدقًا وحقًّا:** فالمزاحُ المباحُ هو المبنيُّ على الصدقِ، أما الكذبُ فحرامٌ وبخاصةٍ في المُزاحِ؛

---

[١] صحيح البخاري (٥٥١٩)، ومسلم (١٩٤٢).

[٢] سنن الدار قطني (٤٧٨٣).

لقولِ النبيِّ ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ؛ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»[١].

ولذلك كان النبيُّ ﷺ يمازحُ أصحابَه أحيانًا، فقالوا: فَإِنَّكَ تُدَاعِبُنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**»[٢].

ب - **ألَّا يكونَ المزاحُ استهزاءً بالدينِ وشرائِعِه وأهلِه**؛ لقولِ اللهِ تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾} [التوبة:٦٥]، فالاستهزاءُ باللهِ ورسولِه وكتابِه وعِبادِه المؤمنين كفرٌ نهى اللهُ عنه.

ج- **أن يكون نادرًا**: أن يكون بمقدارِ المِلحِ في الطعام؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ**»[٣].

---

[١] مسند الإمام أحمد (٢٠٠٤٦)، وسنن الدارمي (٢٧٤٤)، وسنن أبي داود (٤٩٩٠)، وحسنه الألباني.

[٢] مسند الإمام أحمد (٨٤٨١)، وسنن الترمذي (١٩٩٠).

[٣] مسند الإمام أحمد (٨٠٩٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكثرةُ المزاحِ والإفراطُ فيه تُورِثُ قسوةَ القلبِ، وتُسقِطُ المهابةَ والوقارَ، وتُورِثُ الضغائنَ والأحقادَ، وتَخرِمُ المروءةَ؛ فعن جابرٍ ﷺ في وصفِ النبيِّ ﷺ، قال: «**كَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ قَلِيلَ الضَّحِكِ**»[١].

د- ألا يكونَ المزاحُ في شيءٍ فيه ترويعٌ للمسلمِ وإرهابٌ له:

لحديثِ أبي ليلى، قال: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَزِعَ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «**مَا يُضْحِكُكُمْ؟**»، فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبْلَ هَذَا فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا**»[٢].

فهذا صحابيٌّ أراد أن يَمزَحَ مع صاحبِه فأفزَعَه وروَّعَه، فنهى النبيُّ ﷺ عن ذلك.

هـ- ألا يكونَ بسُخريةٍ، أو غِيبةٍ، أو انتقاصٍ لمسلمٍ بهمزٍ أو بغمزٍ، ونحوِ ذلك:

---

[١] مسند الإمام أحمد (٢٠٨١٠)، ومسند أبي داود (٨٠٨).

[٢] مسند الإمام أحمد (٢٣٠٦٤).

لنهي اللهِ ورسولِه ﷺ عن أن يسخَرَ مسلمٌ من مسلمٍ، ونهيه ﷺ عن الهمزِ، واللَّمزِ، والتنابُزِ بالألقابِ واحتقارِ المسلمين وغِيبتِهم.

و- معرفةُ مقاديرِ الناسِ: فليس كلُّ إنسانٍ يُمزَحُ معه، وليس كلُّ مُزاحٍ يَصلُحُ مع كلِّ إنسانٍ، فلا بدَّ من إنزالِ الناسِ منازلَهم، ومراعاةِ أحوالِهم حتى في المُزاحِ، فليس العالِمُ كالعاميِّ، وليس الكبيرُ كالصغيرِ، وليس الرجلُ كالمرأةِ.

ولا ينبغي المزاحُ مع سفيهٍ أو أحمقَ أو مجهولٍ لا يُعرَفُ، قال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ﷺ: «اقتصِرْ في مُزاحِك؛ فإنَّ الإفراطَ فيه يُذهِبُ البهاءَ، ويُجَرِّئُ عليك السفهاءَ»[1].

ز- اختيارُ الأوقاتِ المناسبةِ للمزاحِ:

فليس كلُّ وقتٍ يَصلُح للمزاحِ، فيكونَ المزاحُ لإدخالِ المودَّةِ على القلب والسرورِ على النفس، وإزالةِ الوحشةِ عن الإنسان.

قال رجلٌ لسفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ: المزاحُ هُجْنَةٌ؛ أي: مستنكَرٌ؟

فأجابه: بل هو سُنَّة، ولكنْ لمن يُحسِنُه، ويَضَعُه في موضِعِه.

---

[1] دليل الواعظ الى أدلة المواعظ (١/ ٣٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسُئِل عبدُ اللهِ بنُ عمرَ: هل كان أصحابُ النبيِّ ﷺ يضحَكون؟

قال: «نعم، والإيمانُ في قلوبِهم مثلُ الجبالِ».

أي: كانوا فرسانًا بالنهار، رهبانًا بالليل، يَمزَحون ويَضحَكون بحقٍّ في الوقتِ المناسِب.

قال بلالُ بنُ سعدٍ عنِ الصحابةِ والصالحين: «أَدْرَكْتُهُمْ يَشْتَدُّونَ بَيْنَ الْأَغْرَاضِ، وَيَضْحَكُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ كَانُوا رُهْبَانًا»[١].

وروى البخاريُّ في «الأدبِ المفرَدِ» عن بكرِ بنِ عبدِ اللهِ المُزَنيِّ قال: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَبَادَحُونَ بِالْبِطِّيخِ، فَإِذَا كَانَتِ الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرِّجَالَ»[٢].

---

[١] الزهد لابن المبارك (١٤٤)، والسنن الكبرى للنسائي (١١٨٥٥).

[٢] الأدب المفرد للبخاري (٢٦٦).

١٢- إذا وجدنا رجلًا مقتولًا، وكان في أنفاسِه الأخيرةِ، وقال: إن فلانًا هو الذي قتلَه، فهل يؤخذُ بقولِه أم لا؟

نعم، يؤخذ بقوله إذا دلَّتِ القرائنُ الأخرى على ذلك؛ لما رواه البخاريُّ عن أنسٍ ﷺ: أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، فَقِيلَ لَهَا: مَنْ فَعَلَ بِكِ، أَفُلَانٌ أَوْ فُلَانٌ، حَتَّى سُمِّيَ اليَهُودِيُّ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا، فَجِيءَ بِهِ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَرَفَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَرُضَّ رَأْسُهُ بِالحِجَارَةِ[1].

فكانت القرينةُ على الأخذِ بقولِ المقتولةِ إقرارَ القاتلِ اليهوديِّ بعد مُساءَلةِ النبيِّ ﷺ له.

١٣- لو وجدْنا رجلًا مقتولًا في بلدٍ أو كنَا لا نعلمُ قاتلَه، فماذا نفعلُ؟

كحالِ هذا الرجلِ القتيلِ في قصةِ البقرةِ في بني إسرائيل.

الجوابُ: نلجأُ للقَسامةِ؛ وهي الأيمانُ المكرَّرةُ في دعوى القتلِ التي لا يَتوفَّرُ فيها دليلٌ، فيُقسِمُ فيها أولياءُ الدمِ لإثباتِ التهمةِ، فإنْ

---

[1] صحيح البخاري (٢٧٤٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَبَوا، يُقسِمُ بها المُتَّهَمُ لدفعِ التُّهمةِ عنه؛ لقولِ النبيِّ ﷺ لأولياءِ الدمِ في جريمةِ قتلٍ لم يُعلَمْ فيها القاتلُ: «**يَقْسِمُ خَمْسُونَ مِنْكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَيُدْفَعُ بِرُمَّتِهِ**»، قَالُوا: أَمْرٌ لَمْ نَشْهَدْهُ، كَيْفَ نَحْلِفُ؟ قَالَ: «**فَتُبْرِئُكُمْ يَهُودُ بِأَيْمَانِ خَمْسِينَ مِنْهُمْ**»[١].

وفي روايةٍ قال لهم: «**تَأْتُونَ بِالبَيِّنَةِ عَلى مَنْ قَتَلَهُ؟**» قَالُوا: مَا لَنا بَيِّنَةٌ. قَالَ: «**فَيَحْلِفُونَ**»، قالُوا: لَا نَرْضى بأيْمانِ اليَهُودِ، فَكَرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ أنْ يُبْطِلَ دَمَهُ فَوَدَاهُ مِئَةً مِنْ إبِلِ الصَّدَقَةِ»[٢].

وتكونُ القَسامةُ بأن يحلِفَ خمسون رجلًا من أهلِ القتيلِ خمسين يمينًا، كلُّ رجلٍ منهم يحلِفُ باللهِ أنَّ مَن عَيَّنوه واتهموه هو القاتلُ، فإن أبى أولياءُ الدمِ أن يحلِفوا، توجَّهَ اليمينُ إلى المُدَّعَى عليه (المتَّهمِ) بقولِهم: «نحلفُ باللهِ ما قتلناه، ولا نعلمُ له قاتلًا».

---

[١] صحيح مسلم (١٦٦٩).

[٢] عمدة القاري في شرح صحيح البخاري (٦٨٩٨).

فإن كان عددُ الحاضرين خمسين، يحلِفُ كلٌّ منهم يمينًا، وإن كانوا أقلَّ، أعاد القاضي اليمينَ مرةً أخرى على مَن شاء منهم، حتى يستوفيَ خمسين يمينًا.

وإن كان وليُّ الدمِ واحدًا حلَفَ خمسين يمينًا، وإذا حلَف خمسون من أولياءِ القتيلِ يُقتَصُّ من المتهمِ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «**يَقْسِمُ خَمْسُونَ مِنْكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَيُدْفَعُ بِرُمَّتِهِ**»؛ أي: يُسلَّمُ إليكم بحبلِه الذي شُدَّ به؛ لئلَّا يهربَ، وهنا تقومُ القَسامةُ مقامَ البينةِ.

فإن أبى المدَّعون الحلِفَ، ووُجِّهتِ اليمينُ على المدَّعى عليهم، فإن حلَفوا خمسين يمينًا، فقد بَرِئوا من التهمةِ فإن أبَوا، فيلزمُهم الدِّيةُ، وإن حلَف المدَّعى عليهم ولم يرضَ المدَّعون، تُدفَعُ الديةُ من بيتِ المالِ؛ حتى لا يُهدَرَ دمٌ في الإسلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والقَسامةُ كانت موجودةً في الجاهلية، وأقرَّها الإسلامُ؛ لِما رواه مسلمٌ عن رجلٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ من الأنصار: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَقَرَّ الْقَسَامَةَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[١].

ولحديثِ سهلِ بنِ أبي حَثْمَةَ قال: انْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ زَيْدٍ، إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَمَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ، فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ، وَمُحَيِّصَةُ، وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**» وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا، **فَقَالَ**: «**تَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ، أَوْ صَاحِبَكُمْ**»، قَالُوا: وَكَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَرَ؟ **قَالَ**: «**فَتُبْرِيكُمْ يَهُودُ بِخَمْسِينَ**»، فَقَالُوا: كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ؟!

فَعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ[٢].

---

[١] صحيح مسلم (١٦٧٠).

[٢] صحيح البخاري (٣١٧٣).

و عَنْ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ رِجَالٍ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةَ خَرَجَا إِلَى خَيْبَرَ مِنْ جَهْدٍ أَصَابَهُمْ، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَهْلٍ قَدْ قُتِلَ وَطُرِحَ فِي عَيْنٍ- أَوْ فَقِيرٍ- فَأَتَى يَهُودَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَاللهِ قَتَلْتُمُوهُ، قَالُوا: وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ، فَذَكَرَ لَهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ هُوَ وَأَخُوهُ حُوَيِّصَةُ وَهُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ، فَذَهَبَ مُحَيِّصَةُ لِيَتَكَلَّمَ وَهُوَ الَّذِي كَانَ بِخَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُحَيِّصَةَ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**»، يُرِيدُ السِّنَّ، فَتَكَلَّمَ حُوَيِّصَةُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ مُحَيِّصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِمَّا أَنْ يَدُوا صَاحِبَكُمْ، وَإِمَّا أَنْ يُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ**». فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، فَكَتَبُوا إِنَّا وَاللهِ مَا قَتَلْنَاهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحُوَيِّصَةَ، وَمُحَيِّصَةَ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «**أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ دَمَ صَاحِبِكُمْ؟**». قَالُوا: لَا. قَالَ: «**فَتَحْلِفُ لَكُمْ يَهُودُ**». قَالُوا: لَيْسُوا بِمُسْلِمِينَ، فَوَادَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِئَةَ نَاقَةٍ حَتَّى أُدْخِلَتْ عَلَيْهِمِ الدَّارَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَالَ سَهْلٌ: فَلَقَدْ رَكَضَتْنِي مِنْهَا نَاقَةٌ حَمْرَاءُ[١].

وعَنْ بُشَيْرِ بْنِ يَسَارٍ: زَعَمَ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: سَهْلُ بْنُ أَبِي حَثْمَةَ أَخْبَرَهُ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ انْطَلَقُوا إِلَى خَيْبَرَ، فَتَفَرَّقُوا فِيهَا، وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلًا، وَقَالُوا لِلَّذِي وُجِدَ فِيهِمْ: قَدْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا، قَالُوا: مَا قَتَلْنَا وَلَا عَلِمْنَا قَاتِلًا، فَانْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ، فَوَجَدْنَا أَحَدَنَا قَتِيلًا، فَقَالَ: «**الكُبْرَ الكُبْرَ**». فَقَالَ لَهُمْ: «**تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ**». قَالُوا: مَا لَنَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «**فَيَحْلِفُونَ**». قَالُوا: لَا نَرْضَى بِأَيْمَانِ اليَهُودِ. فَكَرِهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَهُ، فَوَدَاهُ مِئَةً مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ قَسَامَةٍ كَانَتْ فِي الجَاهِلِيَّةِ، لَفِينَا بَنِي هَاشِمٍ، كَانَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، اسْتَأْجَرَهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ فَخِذٍ أُخْرَى، فَانْطَلَقَ مَعَهُ فِي إِبِلِهِ، فَمَرَّ رَجُلٌ بِهِ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ،

---

[١] صحيح مسلم (١٦٦٩).

[٢] صحيح البخاري (٦٨٩٨).

قَدِ انْقَطَعَتْ عُرْوَةُ جُوَالِقِهِ، فَقَالَ: أَغِثْنِي بِعِقَالٍ أَشُدُّ بِهِ عُرْوَةَ جُوَالِقِي، لَا تَنْفِرُ الإِبِلُ، فَأَعْطَاهُ عِقَالًا فَشَدَّ بِهِ عُرْوَةَ جُوَالِقِهِ، فَلَمَّا نَزَلُوا عُقِلَتِ الإِبِلُ إِلَّا بَعِيرًا وَاحِدًا، فَقَالَ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ: مَا شَأْنُ هَذَا البَعِيرِ لَمْ يُعْقَلْ مِنْ بَيْنِ الإِبِلِ؟ قَالَ: لَيْسَ لَهُ عِقَالٌ، قَالَ: فَأَيْنَ عِقَالُهُ؟ قَالَ: فَحَذَفَهُ بِعَصًا كَانَ فِيهَا أَجَلُهُ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ المَوْسِمَ؟ قَالَ: مَا أَشْهَدُ، وَرُبَّمَا شَهِدْتُهُ، قَالَ: هَلْ أَنْتَ مُبْلِغٌ عَنِّي رِسَالَةً مَرَّةً مِنَ الدَّهْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَتَبَ إِذَا أَنْتَ شَهِدتَّ المَوْسِمَ فَنَادِ: يَا آلَ قُرَيْشٍ، فَإِذَا أَجَابُوكَ فَنَادِ: يَا آلَ بَنِي هَاشِمٍ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَسَلْ عَنْ أَبِي طَالِبٍ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي فِي عِقَالٍ، وَمَاتَ المُسْتَأْجَرُ، فَلَمَّا قَدِمَ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ، أَتَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَاحِبُنَا؟ قَالَ: مَرِضَ، فَأَحْسَنْتُ القِيَامَ عَلَيْهِ، فَوَلِيتُ دَفْنَهُ، قَالَ: قَدْ كَانَ أَهْلَ ذَاكَ مِنْكَ، فَمَكَثَ حِينًا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يُبْلِغَ عَنْهُ وَافَى المَوْسِمَ، فَقَالَ: يَا آلَ قُرَيْشٍ، قَالُوا: هَذِهِ قُرَيْشٌ، قَالَ: يَا آلَ بَنِي هَاشِمٍ؟ قَالُوا: هَذِهِ بَنُو هَاشِمٍ، قَالَ: أَيْنَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَبُو طَالِبٍ؟ قَالُوا: هَذَا أَبُو طَالِبٍ، قَالَ: أَمَرَنِي فُلَانٌ أَنْ أُبْلِغَكَ رِسَالَةً، أَنَّ فُلَانًا قَتَلَهُ فِي عِقَالٍ. فَأَتَاهُ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ: اخْتَرْ مِنَّا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تُؤَدِّيَ مِئَةً مِنَ الإِبِلِ فَإِنَّكَ قَتَلْتَ صَاحِبَنَا، وَإِنْ شِئْتَ حَلَفَ خَمْسُونَ مِنْ قَوْمِكَ: إِنَّكَ لَمْ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ أَبَيْتَ قَتَلْنَاكَ بِهِ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا: نَحْلِفُ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، كَانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنْهُمْ، قَدْ وَلَدَتْ لَهُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أُحِبُّ أَنْ تُجِيزَ ابْنِي هَذَا بِرَجُلٍ مِنَ الخَمْسِينَ، وَلَا تُصْبِرْ يَمِينَهُ حَيْثُ تُصْبَرُ الأَيْمَانُ، فَفَعَلَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَرَدتَّ خَمْسِينَ رَجُلًا أَنْ يَحْلِفُوا مَكَانَ مِئَةٍ مِنَ الإِبِلِ، يُصِيبُ كُلَّ رَجُلٍ بَعِيرَانِ، هَذَانِ بَعِيرَانِ فَاقْبَلْهُمَا عَنِّي، وَلَا تُصْبِرْ يَمِينِي حَيْثُ تُصْبَرُ الأَيْمَانُ، فَقَبِلَهُمَا، وَجَاءَ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ فَحَلَفُوا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا حَالَ الحَوْلُ، وَمِنَ الثَّمَانِيَةِ وَأَرْبَعِينَ عَيْنٌ تَطْرِفُ[1].

---

[1] صحيح البخاري (٣٨٤٥).

١٤- الأصلُ في أحكامِ اللهِ أنَّها على العمومِ الظاهرِ، ولا خصوصيةَ إلا بدليلٍ:

ففي قصةِ البقرةِ قال موسى لبني إسرائيلَ: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ}؛ والمراد: أيُّ بقرةٍ، على العمومِ، ولم يحدِّدْ لها سِنًّا، ولا لونًا معينًا، فلما شدَّدوا على أنفسِهم وتَعَنَّتوا وتَكلَّفوا في السؤالِ والجدالِ شدَّد اللهُ عليهم.

١٥- لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تسُؤْكم:

التنطُّعُ والتكلفُ والتشددُ في السؤالِ منهيٌّ عنه شرعًا؛ لقولِ النبي ﷺ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[١].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»[٢].

---

[١] صحيح مسلم (١٣٣٧).

[٢] أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»[١].

فهؤلاءِ بنو إسرائيلَ قال لهم نبيُّهم موسى: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ}؛ أي: اذبحوا أيَّ بقرةٍ، قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا}؟

فكان الواجبُ عليهم امتثالَ أمرِ الله بذبحِ أيِّ بقرةٍ؛ لكنهم شدَّدوا، وتنطعوا، وجادلوا، فسألوا عن سِنِّها، فأجابهم، وكان الواجب عليهم امتثالَ الأمر وإنفاذَ الذبح؛ ولكنهم شدَّدوا وسألوه عن لونِها فأجابهم، وكان الواجبُ امتثالَ الأمر وانفاذَه؛ لكنهم شددوا وتكلفوا السؤالَ مرةً أخرى، وقالوا: أيٌّ بقرةٍ بالتحديد؟ فعلوا هذا هربًا من إنفاذ أمرِ الله: {فذبحوها وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ}؛ خوفَ الفضيحة، وبخلًا بالمالِ؛ كي لا يشتروها، وغير ذلك كما قال بعض العلماء: **شدَّدوا فشدَّد اللهُ عليهم**.

---

[١] صحيح البخاري (٧٢٨٩).

فعلى المسلمين الحذرُ مما وقع فيه بنو إسرائيلَ، قال الله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾} [الزمر:١٨].

وقال أيضًا: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾} [الأحزاب:٣٦].

١٦- القتيلُ على رأسِه قنديلٌ:

هذا مثلٌ يُضرَب في القبائلِ البدويةِ وفي قضائِهم العُرفيِّ في قضايا القتلِ، وعند رجالِ المباحثِ والشرطةِ في استكشافِ جرائمِ القتل.

ويقصدون به: أن القاتلَ مهما كان متخفِّيًا وغيرَ معلومٍ، إلا أنه لا بدَّ أن تكونَ هناك علامةٌ تدلُّ على القتيلِ ومَن قتله، ولو بعدَ حينٍ، وهذا في غالبِ الحال[١].

فهذا المقتولُ في قصَّة البقرة لم يَعلَمْ أحدٌ من الناسِ قاتلَه، وصار القاتلُ مجهولًا عند الناس؛ ولكن اللهَ تعالى هيَّأ الأسبابَ

---

[١] انظر جريدة الدستور عدد الثلاثاء ١٤ مايو ٢٠١٩.

بمعجزةٍ إلهيةٍ لنبيِّ الله موسى لمعرفة القاتلِ الحقيقيِّ، بإحياءِ القتيلِ نفسِه؛ ليدلَّ على قاتلِه باسمه صراحةً، قال الله تعالى: {وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ}.

١٧- نؤمن بمعجزاتِ الأنبياءِ وكراماتِ الأولياء:

فما حدث في قصةِ البقرةِ مِن ذبحِها وضَرْبِ القتيلِ بجزءٍ أو بعُضوٍ منها ثم إحياء اللهِ الميتَ ونُطقِه ودلالتِه على القاتلِ الحقيقيِّ صراحةً: ما هو إلا معجزةٌ لنبيِّ اللهِ موسى ﷺ تدلُّ على صدق نبوَّتِه وعظمةِ رسالتِه، وأنه رسولُ الله حقًّا وصدقًا، كغيرها من المعجزاتِ التي منحَها اللهُ إياه كمعجزةِ العصا، واليدِ، وانفلاقِ البحر له ولقومه للنجاة من فرعونَ وقومه، وانفجارِ الحجرِ بالماءِ، ونحوِ ذلك من المعجزاتِ، وهكذا فإنَّ لكلِّ نبيٍّ معجزةً أو معجزاتٍ يؤيدُه اللهُ بها؛ لتكونَ دليلًا على صدق نبوَّته وصحةِ رسالتِه، ومعجزةُ ذبحِ البقرةِ فيها كرامةٌ أيضًا مِن اللهِ تعالى للقتيلِ وأهلِه لبيانِ الحقِّ مِن الباطلِ.

وكراماتُ الأولياءِ كثيرةٌ في الكتاب والسُّنة، كقصَّة أصحاب الكهفِ، وما جرى لغلامِ أصحاب الأُخدودِ، وما أكرمَ اللهُ به مريمَ عليها السلام، وغيرِ ذلك مما ورد في الكتاب والسُّنة لصالحي هذه الأمَّة، وكل كرامةٍ لوليٍّ هي معجزةٌ للنبيِّ؛ لأنه ما نال هذه الكرامةَ إلا بتصديقِه وإيمانِه واتِّباعِه لهذا النبيِّ.

١٨- عظمة قدرة الله تعالى في إحياء الموتى عِيانًا:

قال الله تعالى عن نفسِه جل وعلا: {أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾} [القيامة:٤٠]، وقال سبحانه: {مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾} [لقمان:٢٨].

وفي قصَّة البقرةِ وضربِ القتيل ببعضِها، وإحيائه بعد مماته أعظمُ دليلٍ على كمالِ قدرةِ الله تعالى على إحياء الموتى، قال تعالى: {فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾} [البقرة:٧٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩- أنواع الحجارة في القرآن الكريم:

ذكر اللهُ تعالى قسوةَ قلوبِ بني إسرائيلَ بعد رؤيتِهم المعجزةَ الإلهيةَ في قصةِ البقرةِ، قال: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾} [البقرة:٧٤].

أي: إن من الحجارة ما يلينُ ويتَّسِعُ وينفرجُ حتى تُصَبَّ منه المياهُ صبًّا، فتصير أنهارًا جاريةً، ومن الحجارةِ ما يتصدَّعُ فينشقُّ، فتخرُج منه عيونُ الماء وينابيعُها، ومن الحجارة ما يسقُطُ من أعالي الجبالِ من خشيةِ اللهِ تعالى وتعظيمه.

قال تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾} [الحشر:٢١]، وقال سبحانه لموسى ﷺ: {وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴿١٤٣﴾} [الأعراف:١٤٣].

وقال سبحانه: {يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾} [سبأ:١٠]، وقال سبحانه: {وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾} [مريم:٨٨-٩٥].

وقال جل وعلا: {إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾} [الأحزاب:٧٢].

وقال النبيُّ ﷺ عن جبلِ أُحُدٍ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[١]، وقال ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**»[٢].

---

[١] صحيح البخاري (١٤٨٢).

[٢] صحيح مسلم (٢٢٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد سبَّح الحصى بين يدي رسولِ الله ﷺ.

وقال تعالي: {تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤} [الإسراء:٤٤].

وقال سبحانه: {وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٦٠} [البقرة:٦٠].

والحجارة جندٌ من جنودِ الله تعالي تنفِّذُ أمرَه بإهلاكِ الظالمين، قال تعالى: {أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۢ ٥} [الفيل:١-٥]، وقال سبحانه {فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدِۭ ٨٣} [هود:٨٢-٨٣].

ونخلُصُ من ذلك إلى أنَّ شأنَ الحجارةِ عظيمٌ، فمنها حجارةٌ نهريةٌ تأتي بأنهارِ الماء، ومنها حجارةٌ آباريةٌ تأتي بالعيونِ والآبارِ كبئرِ زمزمَ، ومنها حجارةٌ خاشعةٌ تهوي من خشية الله، ومنها حجارةٌ ناريةٌ، جندٌ من جنودِ الله تأتي بعذابِ الظالمين.

ومنها الحجارةُ الكِبريتيةُ التي يعذَّب بها الكفارُ في النارِ يومَ القيامةِ، قال تعالى: {فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ} [البقرة:٢٤].

قال ابنُ عباسٍ: «وأكثرُ المفسِّرين أنها حجارةُ الكِبريتِ؛ لأنها أكثرُ التهابًا».

وقيل: هي الأصنامُ التي كانوا يعبدونها، يعذبون بها يومَ القيامة، كما قال تعالى:{إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴿٩٨﴾} [الأنبياء:٩٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠- وجوبُ الأدبِ وحسنُ الخُلُقِ مع الأنبياءِ والعلماءِ والصالحين وأهل الفضل:

فنبيُّ اللهِ موسى ﷺ، نبيٌّ ورسولٌ وعالمٌ فاضلٌ وصالحٌ وعظيم، وصادقٌ وأمينٌ، سأله بنو إسرائيلَ في شأنِ قبيلتِهم، فأمره اللهُ بأمرِه فيهم، فكان الواجبُ عليهم طاعةَ موسى ﷺ وشكرَه، لكنهم لِسوءِ أدبهم قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}، فقال العالمُ الربانيُّ: {أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ}.

ثم لِسوء أدبِهم تعنَّتوا معه في شأنِ البقرةِ، وشقُّوا عليه في المسألة، وشددوا على أنفسِهم كما هو واردٌ بالقصةِ.

ومن سوءِ أدبِهم قالوا له: {ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ} كأنه ليس ربَّهم[1].

وكان الواجبُ عليهم التأدبَ مع معلمِهم وشيخِهم ونبيهم وفقيهِهم موسى ﷺ بتوقيرِه وطاعتِه وإنفاذِ أمرِه لهم، وهذا التوقيرُ والتعظيمُ والأدبُ الجمُّ العظيمُ كان هو دأبَ أصحابِ رسولِ الله

---

[1] ومن سوء أدبِهم أنهم في نهاية القصة قالوا له: {ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ}، كأنه لم يأتِ قبل ذلك بالحق، سفهاءُ حمقى.

ﷺ مع نبيِّهم وحبيبِهم ﷺ، كما هو معلومٌ من سيرتِهم، حتى إنَّهم ما كانوا يُحِدُّون النظرَ إليه ﷺ هيبةً له، وما قالوا له إلا:{سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}

وهذا الأدبُ نتعلَّمُه أيضًا من نبيِّ اللهِ موسى لمَّا رحلَ في طلبِ العِلم إلى نبيِّ اللهِ الخَضِرِ عليهما السلامُ حينما قال له موسى:{هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾} [الكهف:٦٦].

أدبٌ وتواضعٌ جمٌّ في استئذانِ الشيخِ لطلبِ العلمِ على يديه، وأدبٌ في خطابِ الشيخِ المعلمِ، وحياءٌ عظيمٌ، قال له الخضِر:{قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا} [الكهف:٦٧-٦٨].

فقال موسى صاحبُ الخلقِ العظيمِ:{سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾} [الكهف:٦٩].

تحلى بالصبر والطاعة وحسنِ الأدب مع شيخِه بعد تقديمِ المشيئة.

وهذا الأدبُ والتواضعُ هو الواجبُ على الناس عمومًا والسائلين وطلابِ العلمِ خصوصًا مع علمائهم وشيوخِهم؛ لأن سوءَ الأدبِ مع أهلِ العلمِ والفضلِ من التشبُّهِ باليهودِ وأهل الخُبثِ.

ومن أعظم أسبابِ سوءِ الأدبِ مع المعلمين والعلماءِ نزعُ العصا منَ المعلمِ والتي تَخرَّج بسببها القادةُ في كلِّ مجالٍ، فقد جعلوا المعلِّمَ الذي يعاقبُ ويؤدبُ عدوًّا ومجرمًا.

قال الشاعر:

لَا تَحْزَنَنَّ عَلَى الصِّبْيَانِ إنْ ضُرِبُوا * الضَّرْبُ يَفْنَى ويَبْقَى العِلْمُ وَالأَدَبُ

الضَّرْبُ يَنْفَعُهُم وَالعِلمُ يَرفعُهُم * لَوْلَا المَخَافَةُ مَا قَرَؤُوا وَلَا كَتَبُوا

لَوْلَا الْمَخَافَةُ كَانَ النَّاسُ كلُّهُمُ * شِبهَ الجَمَادِ فَلَا عِلْمٌ ولا أَدَبٌ

٢١- وجوبُ الخشوعِ للهِ تعالى، فقسوةُ القلوبِ لكثرة النِّعَم كُفرانٌ لِلنِّعَم:

لقد أنعمَ اللهُ على بني إسرائيلَ بنِعمٍ لا تُعدُّ ولا تُحصى، كنعمةِ الإسلامِ والنبيينَ، والتفضيلِ على غيرِهم في زمانِهم، وغيرِ ذلك،

ومع ذلك لم يشكروا اللهَ كما أمرَهم، ولكنْ كثُرَت فيهم النعمُ، فازدادتْ قلوبُهم قسوةً وجحودًا لنعمِ اللهِ تعالى.

قال اللهُ تعالى عنهم: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة:٧٤]، وقال الله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾} [الحديد:١٦].

فالواجبُ على العبد أن يشكرَ اللهَ تعالى على نعَمِه الظاهرةِ والباطنةِ، بالقيامِ بحقِّ اللهِ فيها بالقلبِ واللسانِ والجوارحِ، وأن يجتهدَ في تحصيلِ خشوعِ القلبِ، وخضوعِ الجوارحِ لكلامِ اللهِ ورسولِه، ولا يكونُ منَ القاسيةِ قلوبُهم: {فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ} [الزمر:٢٢].

قال تعالي: {ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ} [الزمر:٢٣].

وهذا هو حالُ أهلِ الإيمانِ المخلِصين للهِ الذين قال اللهُ عنهم: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٣} [هود:٢٣]، وقال عنهم: {قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢} [المؤمنون:١-٢].

فالخشوعُ للهِ تعالى هو عنوانُ السعادةِ في الدنيا والآخرةِ، وقسوةُ القلبِ هي عنوانُ الشقاوةِ في الدنيا والآخرةِ، وخشوعُ الجوارحِ دليلٌ على خشوعِ القلب، ولهذا لمَّا رأى النبيُّ ﷺ رجلًا يصلي وهو يعبثُ بلِحيتِه، فقال: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ**»[١].

وقال اللهُ عن عبادِه الصالحين الذين نَسَبَهم لنفسِه نسبَ تشريفٍ وتكريمٍ: {وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا} [الفرقان:٦٣]؛ أي: خاضعين متواضعين.

---

[١] مصنَّف ابن أبي شيبة (٦٧٨٧).

ومن علاماتِ الخشوعِ أن يطمئنَّ القلبُ بذكرِ اللهِ تعالى، قال تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨} [الرعد:٢٨]، وقال سبحانه: {وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣} [الفرقان:٧٣]؛ أي: بل خَرُّوا سامعين مُبصرين مُنقادين لها طَوعًا واختيارًا.

قال تعالى: {قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ١٠٩} [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

ومن أعظمِ علاماتِ الخشوعِ قولُه تعالى: {وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ} [الحج:٣٤]؛ أي: الخاشعين، ثم وصفَهم بقوله: {ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥} [الحج:٣٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢- وجوبُ دفاعِ الإنسانِ عن نفسِه إذا اتُّهِم بما ليس فيه، وبخاصةٍ إذا كان من أهلِ العلمِ والفضلِ:

فلما قال موسى لبني إسرائيل: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ}، قالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗا}، اتهموه بأنه يستهزئُ بهم كفعلِ الجَهَلةِ، فردَّ موسى ﷺ عن نفسِه، وبرَّأ نفسَه على الفور، وقال: {أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ}؛ أي: أن الذي يَهزأُ بعقولِ الناسِ أو بأحكامِ الشرعِ هو الجاهلُ السفيهُ، واللهُ نزَّهَني عن ذلك، وآتاني العلمَ والحِكْمةَ والنبوَّةَ والكتابَ، ولم يجعَلْني من الجاهِلين.

وهذا هو هَدْيُ الأنبياءِ في نفيِ التُّهَمِ الباطلةِ عن نفوسِهم، فهذا نبيُّ اللهِ يوسُفُ لمَّا اتهمَتْه امرأةُ العزيزِ بأنه أرادَ بها سُوءًا، ردَّ عن نفسه على الفورِ قائلًا: {قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ}، ولما سَجَنوه ظلمًا وزورًا لأجل هذه التهمة، ثم أرادوا إخراجَه منَ السجنِ لمَّا رأى الملكُ رؤياه، وقال: {ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ} رفض يوسُفُ أن يخرجَ حتى تظهَرَ براءتُه، وحتى يدافعَ عن شَرَفِه، وقال: {ٱرۡجِعۡ

إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾} [يوسف:٥٠-٥١].

وهذا نبيُّنا محمدٌ ﷺ، أَتَتْهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ في معتكفه، فَلَمَّا رَجَعَتِ انْطَلَقَ مَعَهَا، فَمَرَّ بِهِ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ فَدَعَاهُمَا، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ**»، قَالَا: سُبْحَانَ اللهِ، قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ**»[1].

٢٣- أهميةُ تقديمِ المشيئةِ في تيسيرِ الأمورِ وقضاءِ المَصالِحِ:

فبنو إسرائيلَ قالوا: {وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ}، ولو لم يُقدِّموا المشيئةَ ما وُفِّقوا، وما تمَّ لهم مرادُهم، ولهذا قال الله تعالى: {وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ

---

[1] صحيح البخاري (٧١٧١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ } [الكهف:٢٣-٢٤].

وقد أخبرَنا النبيُّ ﷺ عن نبيِّ اللهِ سليمانَ بنَ داودَ عليهما السلامُ أنه قال: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِئَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ، يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»[1].

٢٤- من الحكمةِ في أمرِ موسى قومَه بأن يذبحوا بقرةً استئصالُ تعظيمِ البقرِ من قلوبِ بني إسرائيلَ وغيرِهم من عُبَّادِ البقرِ كالهنودِ:

فبنو إسرائيلَ كانوا يُعظِّمون البقرَ، وقد وَرِثوا ذلك من تعظيمِ المصريِّين لها، وأكبرُ دليلٍ على تعظيمِهم البقرَ أنهم لمَّا اتخذوا إلهًا آخرَ يعبدونه من دونِ الله اتَّخَذُوا عجلًا جسدًا له خُوارٌ، وقالوا: {هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ}.

---

[1] صحيح البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤).

ولذلك قال الله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢} [الأعراف:١٥٢].

وقد رأينا الهنودَ يقدِّسون البقرَ ويعبدونه إلى يومِنا هذا، فهم يُحرِقون الموتى، وأما البقرُ فتُدْفَنُ في باطنِ الأرضِ إذا ماتت؛ تعظيمًا لها، ويعتقدون أنها أمٌّ ملايينَ الهنودِ، وأنها جديرةٌ بالتعظيمِ والحمايةِ، حتى قال غاندي رئيسُ الهند: «البقرةُ أفضلُ من أمِّي، فإنَّ أمِّي أرضعتني حولين، وأما البقرةُ، فإنها تُرضِعُني طولَ العُمر».

ويرَون أن كلَّ فضلاتِها مِن بولٍ ورَوَثٍ مُطهَّرةٌ ومُعظَّمةٌ.

وللبقرةِ حريةُ التجوُّلِ في أيِّ مكانٍ بلا ممانعةٍ حتى في الشوارعِ المزدوجةِ، ومَن قتلَ الأبقارَ عندهم يستوجِبُ عقوبةَ الإعدامِ، أو السجنِ، والتغريمِ.

وسببُ قداسةِ البقرةِ في الديانةِ الهندوسيةِ يرجعُ إلى ارتباطِها بالإلهِ كريشنا حامي الأبقار، فدائمًا ما يُصوِّرُ الأبقارَ التي تستمع إلى موسيقاه، ولذلك من قتلها يكونُ قد أساء إلى الإله كريشنا.

فينظرون إليها على أنها تجسيدٌ للإلهِ، ورمزٌ للنقاءِ والخصوبةِ والوفرةِ، ويعتبرونها رمزًا للعطاء والحب، ورمزَ الحياةِ، والأرضِ، والأمنِ، والسلامِ مع الطبيعةِ، ورمزًا للثروةِ والازدهار.

كذلك فالإلهُ (بَرَاهْمَا) عندهم أخذ شكلَ بقرةٍ من أجلِ إطعامِ أطفالِه، ومن ثَمَّ تعتبر أبًا وأمًّا لهم، فمَن قتلها يُعَدُّ قاتلًا لأبيه وأمِّه.

وبدأت هذه المعتقداتُ من القرنِ الرابعِ قبلَ الميلادِ، وكانت قبلَ ذلك تُذبَحُ وتُقدَّمُ قرابينَ للآلهة، ولم تكن محورًا للتقديس.

وكذلك من أسباب تقديسِهم للبقرةِ أنها رمزٌ قوميٌّ للأمةِ الهندوسيةِ، يميزون به بين الهنديِّ الأصليِّ وغيرِه مِمَّن استوطنَ الهندَ كالمغولِ والإنجليزِ، حتى إنه في يوم ١ سبتمبر ٢٠٢١ م قالت محكمةُ آبارُ العليا: يجبُ إعلانُ البقرةِ رمزًا وطنيًّا للهندِ، وحمايتُها كحقٍّ أساسيٍّ للهندوس؛ وذلك لِما لها من الأهميةِ الدينيةِ والثقافيةِ.

ومن أسباب تعظيمِهم للبقرةِ أنها رمزٌ للتعاطفِ ونُكرانِ الذاتِ، والحبِّ غيرِ المشروطِ على مرِّ التاريخ؛ لأن هذا هو حالُ البقرة.

ومن مظاهر عبادة الهندوس للبقرة:

١- الركوع لها.

٢- تزيينُها بالأكاليلِ وأنواعِ الزينةِ في مهرجانٍ يقامُ في نصفِ نوفمبرَ من كلِّ عامٍ، وهو يومُ عيدِهم؛ حيث يتمُّ أداءُ صلواتٍ وطقوسٍ خاصةٍ لتكريمِ الأبقار.

٣- إطعامُها ورعايتُها عمَلٌ تعبديٌّ يعادلُ عبادةَ الإلهِ (كَرِيشنا) وسببٌ لجلبِ النعمِ والحظِ السعيدِ.

٤- لا يأكلون لحومَها، ولكن يشربون ألبانَها، ويأكلون مشتقاتِ الألبانِ منها[١].

---

[١] انظر كتاب البقر في الديانات والتقاليد والفلكلور.

وكتاب الهندوسية. دركيم نوت بتاريخ ٣٠إبريل ٢٠٢٤م ،وانظر: وموقع الجزيرة نت: كيف استطاعتِ البقرةُ أن تصنعَ عباقرة الرياضيات بعبادتها؟ وموقع اليوم السابع بعنوان: البقرة في الحضارات القديمة (٣٠/ ٤/ ٢٠٢٤)م.

٢٥- لماذا خلقَ اللهُ البقرَ ؟

اللهُ جلَّ وعلا لم يخلُقْ شيئًا عبثًا ولا سُدًى، وإنما لحكمةٍ جليلةٍ عَلِمَها مَن عَلِمَها، وجَهِلَها مَن جَهِلها، ومن تلك الحِكَمِ التي خلقَ اللهُ من أجلِها البقرَ وغيرَه منَ الحيواناتِ والنباتاتِ والجماداتِ ما يأتي:

١- ذكرُ اللهِ وتسبيحُه والسجودُ له سبحانه، قال الله تعالى: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾} [الإسراء:٤٤].

٢- تكريمُ الإنسانِ بتسخيرِ البقرِ وغيرِه من الحيواناتِ والنباتات والجمادات، كما قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾} [الإسراء:٧٠]، ومن هذا التكريم أنْ سخَّر اللهُ للإنسانِ ما في السمواتِ والأرضِ، قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِى

خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا} [البقرة:٢٩]، وقال تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ} [الجاثية:١٣].

فقد سخر اللهُ تعالى البقرَ؛ لخدمةِ الإنسان؛ لسقيِ الماء، واستخراجِه من الآبارِ والعيونِ، وحراثةِ الأرضِ، والأكلِ من لحومِها، والشربِ من ألبانها، وأخذِ السَّمنِ والزُّبدِ والجبنِ والقِشدةِ منها، واستعمالِ رَوَثِها في زراعةِ الأرضِ، والانتفاعِ بجلودِها وأشعارِها وعظامِها وشحومِها.

عن أبي هريرةَ ﷺ قال: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً؛ إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا، فَقَالَتْ: إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا، إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ**». فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ بَقَرَةٌ تَكَلَّمُ! فَقَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا، أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ**- وَمَا هُمَا ثَمَّ- **وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ؛ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ، فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ، فَطَلَبَ حَتَّى كَأَنَّهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا: اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي؟!**».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ! قَالَ: «**فَإِنِّي أُومِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**». وَمَا هُمَا ثَمَّ[1].

ويتبينُ من هذا الحديثِ أن البقرةَ لها عقلٌ تعقِلُ به، ولسانٌ تنطِقُ به، إذا شاءَ اللهُ أن يُنطِقَها لأَنطَقَها وقتَ ما شاء، والبقرةُ تعلَمُ لماذا خلقَها اللهُ؛ كما ورد في هذا الحديثِ المتَّفَقِ على صحَّتِه، قالت: «**إنما خُلِقْنا للحَرْثِ**»؛ أي: أنَّ اللهَ ﷻ خلقَها وأمرَها وسخَّرها لخدمةِ الإنسانِ، لحراثةِ الأرضِ واستخراجِ الماءِ بالسواقي منَ العيونِ والآبارِ ونحوِها، وهي مِطواعَةٌ لربِّها، خاضعةٌ لأمرِه، حتى إنها تُذبَحُ في أنواعِ القُرَبِ راضيةً بأمرِ ربِّها كالهَدْيِ، والأضاحي، والوليمةِ، والعقيقةِ، وغيرِ ذلك، بالإضافة إلى أنها تسجدُ لربِّها وتُسبِّحُه الليلَ والنهارَ.

---

[1] صحيح البخاري (٣٤٧١)، ومسلم (٢٣٨٨).

٢٦- الحقُّ مهما طال طمسُه لا بدَّ من ظهورِهِ وعُلُوِّهِ، والباطلُ مهما طال ارتفاعُه لا بدَّ أن يُفضَحَ ويُهزَمَ:

فهذا القاتلُ لا يَعلَمُ حالَه أحدٌ مِن الناسِ، ولكنَّ اللهَ يعلمُ، وقد أظهرَ الله الباطلَ على حقيقتِه، وفضَحَه على رؤوسِ الخلائق.

ومثلُ ذلك ما جرى لنبيِّ اللهِ يوسُفَ مع إخوتِه، ومع امرأةِ العزيزِ، فقد برَّأه اللهُ، ومكَّنَ له في الأرضِ، ورفعَه على كلِّ أهلِه.

٣- بيانُ عظمةِ إعجازِ الخالقِ في خلقِه، فبالنظرِ إلى كلِّ حيوانٍ على حِدةٍ نجِدُه معجزةً في خلقِه، وطريقةِ تكاثرِه وولادتِه وحياتِه كلِّها وقيامِه بوظيفتِه التي خلقَه اللهُ من أجلِها، قال اللهُ ﷻ: {ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧} [السجدة:٧].

وفيه بيانُ عظمةِ اللهِ في خلقِه وتدبيرِه، قال ﷻ: {أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤} [الأعراف:٥٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٧- اليهودُ هم اليهودُ مهما طالت الأزمانُ:

فهم أعداءُ اللهِ ورسلِه وأوليائِه قديمًا وحديثًا، حتى يرِثَ اللهُ الأرضَ ومَن عليها، وهم قَتَلةُ الأنبياءِ، وسَفَكةُ دمِ الأبرياءِ، وهم المُفسِدونَ في الأرضِ بكلِّ معاني الإفسادِ، وهم أهلُ غدرٍ وخيانةٍ ونقضٍ للعهودِ، فلا يَغتَرَّ بهمُ المسلِمُ فيما يَدَّعونَ، قال الله ﷻ: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ} [المائدة:٨٢]، وقال: {وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ} [البقرة:١٢٠].

فهؤلاءِ اليهودُ بعد أن ذبحوا البقرةَ ورأَوا آيةً ومعجزةً ربانيَّةً لم يَزِدْهم ذلك إلا قسوةً في قلوبِهم، وتَمرُّدًا على اللهِ ورسلِه، قال ﷻ: {ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةً} [البقرة:٧٤]، وقال اللهُ عنهم: {أَوَ كُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٠} [البقرة:١٠٠]، وقال عنهم: {كُلَّمَآ

أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴿٦٤﴾} [المائدة:٦٤]؛ فهم أفسدُ أهلِ الأرض.

وانظر إلى قوله ﷻ: {وَيَسْعَوْنَ}؛ أي: سعيًا حثيثًا بنشاطٍ وقوةٍ وعزيمةٍ وهمَّةٍ عاليةٍ، لا يمَلُّون على مرِّ الأزمانِ، وهم أسرعُ البشرِ خيانةً، قال الله عنهم: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ} [المائدة:١٣].

فلا أمنَ ولا أمانَ مع اليهودِ، لا يعرِفونَ الصِّدقَ، ولا الأمانةَ، ولا السِّلْمَ والسَّلامَ.

٢٨- تسمية سورةِ البقرةِ بهذا الاسمِ؛ لهذه القصةِ التي عالجت قضيةً تتعلقُ بركنٍ أساسيٍّ من أركانِ الإيمانِ، ألا وهو الإيمانُ باليوم الآخِر، وبالبعث بعد الموتِ والحسابِ والجزاء.

واحتَوتْ هذه القصةُ على إثبات قدرةِ الله على إحياءِ الموتى بعد موتهم، وسرعة استجابتهم الفورية لأمر الله لهم بالبعث بعد الموت، قال ﷻ: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧} [الحج:٦-٧].

ومن العجيب في هذه القصةِ أن الله ﷻ أحيا ميتًا بجزءٍ من ميتٍ؛ وذلك لِيَعلمَ الناسُ أن بقاءَ الإنسانِ حيًّا لا يكونُ فقط بأسبابِ الحياة؛ بل بإرادةِ الله وحده؛ فهو مسبِّب الحياة، ولكي يرَوْا بأعينِهم كيف يُحيي اللهُ الموتى، ولعله سبحانه لو أحياه بغيرِ قصةِ البقرةِ لقالوا: لم يكنْ ميِّتًا؛ بل مُغمًى عليه.

٢٩- الحيواناتُ في بعضِ الأحوالِ تكون أفضلَ من كثيرٍ من الآدميِّين:

فهذه البقرةُ سخَّرها اللهُ وأمرَها بالخضوعِ للإنسانِ لخدمتِه والانتفاعِ بها، حتى في إزهاق روحِها بالذبح أو النحرِ استجابت البقرةُ لأمر الله بغير جدالٍ، ولا تكذيبٍ، ولا تعنُّتٍ، أما هؤلاءِ اليهودُ فقد جادلوا وتعنَّتوا، ولم يُسرِعوا في الإجابةِ لأمرِ الله بذبحِ البقرة؛ بل إنهم بعد أن ذبحوها، وظهر الحقُّ في أمر القاتلِ

والمقتولِ، وكانت لهم آيةً على عظيمِ قدرةِ اللهِ على إحياءِ الموتى ونحو ذلك، قسَتْ قلوبُهُم فهي كالحجارةِ، أو أشدُّ قسوةً.

ولذلك يجب على المسلمِ أن يكونَ سريعَ الاستجابةِ لأمرِ اللهِ ورسولِه ﷺ، قال الله ﷻ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾} [الأنفال:٢٤].

قال سبحانه: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾} [الأعراف:١٧٩].

٣٠- القلوبُ المتحجِّرة المتكبِّرةُ عن منهجِ الله، لا يُرجَى منها إلا الفسادُ العريضُ؛ لأنها لا تعرفُ إلا إنكارَ الحقِّ وجحودَ النعمِ وظلمَ الخلقِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣١- بيانُ عظمةِ كلامِ الله عمومًا والقرآنِ خصوصًا:

فإن من الحجارة ما يتشقَّقُ ويهبِطُ من خشيةِ الله عند سماعِ كلامِه ووحيِه ﷻ، قال ﷻ: {لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ} [الحشر:٢١]، وكما قال الله عن المخلِصين الصالحين: {إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨} [مريم:٥٨]، وذلك؛ لعظمةِ كلامِ الله وتعظيمِ قدرِ الله في قلوبهم.

وقال ﷻ: {قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩} [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

٣٢- سنةُ الابتلاء ووجوبُ الصبر عليها:

هذه الدنيا خُلِقت للابتلاءِ: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٢} [المُلك:٢]، {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١} [محمد:٣١].

والبلاءُ يكونُ في أمورٍ كثيرةٍ كالنفسِ والمالِ الزوجةِ والولدِ وغيرِ ذلك، ومن ألوانِ البلاءِ الابتلاءُ بالسفهاءِ المُتعَجرِفين، كهؤلاءِ الذين قال لهم موسى ﷺ: {إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً}، فقالوا: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}، وقالوا: {ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ}، وأكثَروا الجدالَ معه مع أنهم هم السائِلون وأصحابُ المطلبِ والمصلحة، وبعد بيانِ الحقِّ مِن الباطلِ قسَتْ قلوبُهم، فصارتْ كالحجارةِ أو أشدَّ قسوةً، ولذلك أثنى النبيُّ محمدٌ ﷺ على موسى، فقال: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَصَبَرَ**»[١].

---

[١] سبق تخريجه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٣- **الرفقُ في الردِّ على الجاهل**: تعليمًا له، واتقاءً لجهله وفُحشِه، فهذا موسى ﷺ قالوا له: {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}؟

قال برفقٍ: {أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}، ولو أنه عنَّفهم أو سبَّهم لردُّوا عليه بالسوءِ، كما قال الله ﷻ: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام:١٠٨]؛ أي: لا تسبوا آلهةَ المشركين؛ لأنهم سيسبون ربَّكم بجهلِهم وسَفَهِهم.

وهذا موسى وأخوه هارونُ عليهما السلام قد ذهبا لدعوةِ أكفرِ أهلِ الأرضِ فرعونَ، فقال اللهُ لهما: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾} [طه:٤٤].

٣٤- **وجوب الرجوع لأهل العلم في النوازل والفتن والقضايا العظام**؛ لقول الله تعالى: {فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾} [النحل:٤٣]، ولقولِه: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء:٨٣].

وفي قصَّة البقرة: لما حصلت جنايةُ القتل، واختلفوا، ولم يعرفوا القاتلَ، وكادوا يقتتلوا رجعوا إلى عالمِ الأمَّة ومُفتيها في زمنِه نبيِّ الله موسى عليه السلام، فكان الجوابُ الصحيحُ والفرجُ من الله تعالى الذي ترتَّب عليه حقنُ الدِّماء، وظهورُ الحقِّ، ودحضُ الباطلِ، وهذه من بركاتِ الرجوعِ لأهل العلمِ الشرعيِّ في النوازل والمسائل.

٣٥- وجوب التحاكم إلى شريعة الله في كل الأمور، فلما وقعت جنايةُ القتل هذه في بني إسرائيلَ، ولم يُعلَمِ القاتلُ، ورجع الناسُ لنبيِّ الله موسى عليه السلام، رجع موسى إلى ربِّه جل وعلا، ولجأ إليه؛ ليحكُمَ فيهم بحُكمِه، فأمره اللهُ بما كان من قصَّةِ البقرة.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: الآيات الواردة في القصة	٥
المبحث الثاني: معاني المفردات الواردة في الآيات	٦
المبحث الثالث: مناسبة قصة البقرة وذبحها	٩
المبحث الرابع: المعنى الإجمالي للقصة	١١
المبحث الخامس: الدروس المستفادة من القصة	١٤
فضلُ نبيِّ اللهِ موسى وعظيمُ صبرِه على بني إسرائيلَ	١٤
كلَّ نبيٍّ كان يُبعَثُ إلى قومِه خاصةً، إلا النبيَّ محمدًا ﷺ، فدعوتُه عامةٌ	١٧
جوازُ التحديثِ عن بني إسرائيلَ فيما صحَّ عن اللهِ ورسولِه	١٧
شناعةُ جريمةِ القتلِ	١٩
لا يَرِثُ القاتلُ	٢٢
مَن تعجَّل شيئًا قبل أوانِه عوقِب بحِرمانِه	٢٢

حُرمةُ الاستهزاءِ بأحكامِ الدينِ وبالناسِ	٣٠
ذمُّ الجهلِ والجاهلين	٣٤
الأصلُ في الأوامرِ في الكتابِ والسُّنةِ أنَّها للوجوبِ إلا إذا جاء صارفٌ يصرِفُها إلى الاستحبابِ أو الإباحةِ	٥٣
مشروعيةُ ذبحِ ونحرِ الأبقار، كغيرها من بهيمة الأنعام	٥٦
المُزاحُ المباحُ والمشروعُ	٥٧
إذا وجدنا رجلًا مقتولًا، وكان في أنفاسِه الأخيرةِ، وقال: إن فلانًا هو الذي قتلَه، فهل يؤخذُ بقولِه أم لا؟	٦٢
لو وجدْنا رجلًا مقتولًا في بلدٍ أو كنَا لا نعلمُ قاتلَه، فماذا نفعلُ؟	٦٢
الأصلُ في أحكامِ اللهِ أنَّها على العمومِ الظاهرِ، ولا خصوصيةَ إلا بدليلٍ	٧٠
لا تسألوا عن أشياءَ إن تُبدَ لكم تسُؤْكم	٧٠
القتيلُ على رأسِه قنديلٌ	٧٢
نؤمن بمعجزاتِ الأنبياءِ وكراماتِ الأولياء	٧٣
عظمة قدرة الله تعالى في إحياء الموتى عِيانًا	٧٤
أنواع الحجارة في القرآن الكريم	٧٥

وجوبُ الأدبِ وحسنُ الخُلُقِ مع الأنبياءِ والعلماءِ والصالحين وأهل الفضل ٧٩
وجوبُ الخشوعِ للهِ تعالى، فقسوةُ القلوبِ لكثرة النِّعَم كُفرانٌ لِلنِّعَم ٨١
وجوبُ دفاعِ الإنسانِ عن نفسِه إذا اتُّهِم بما ليس فيه، وبخاصةٍ إذا كان من أهلِ العلمِ والفضلِ ٨٥
أهميةُ تقديمِ المشيئةِ في تيسيرِ الأمورِ وقضاءِ المَصالِحِ ٨٦
من الحكمةِ في أمرِ موسى قومَه بأن يذبحوا بقرةً استئصالُ تعظيمِ البقرِ من قلوبِ بني إسرائيلَ وغيرِهم من عُبَّادِ البقرِ كالهنودِ ٨٧
لماذا خلقَ اللهُ البقرَ ؟ ٩١
الحقُّ مهما طال طمسُه لا بدَّ من ظهورِهِ وعُلُوِّهِ، والباطلُ مهما طال ارتفاعُه لا بدَّ أن يُفضَحَ ويُهزَمَ ٩٤
اليهودُ هم اليهودُ مهما طالت الأزمانُ ٩٥
تسمية سورةِ البقرةِ بهذا الاسمِ ٩٦
الحيواناتُ في بعضِ الأحوالِ تكون أفضلَ من كثيرٍ من الآدميِّين ٩٧
القلوبُ المتحجِّرة المتكبِّرةُ عن منهجِ الله، لا يُرجَى منها ٩٨

إلا الفسادُ العريضُ

بيانُ عظمةِ كلامِ الله عمومًا والقرآنِ خصوصًا ٩٩

سنةُ الابتلاء ووجوبُ الصبر عليها ١٠٠

الرفقُ في الردِّ على الجاهل ١٠١

وجوب الرجوع لأهل العلم في النوازل والفتن والقضايا العظام ١٠١

وجوب التحاكم إلى شريعة الله في كل الأمور ١٠٢